

# الزَّمَانُ SPACETIME

دانا صقر

# الزُّكَّانُ

عنوان الكتاب: الزمکان

اسم المؤلف: دانا صقر

الطبعة الأولى: 2024

دار سين للثقافة والنشر والإعلام



© جميع الحقوق محفوظة

الإشراف العام: أيهم فارس صقر

دمشق، سورية

00963934555419 / 00963115661212

[seen.ayham@gmail.com](mailto:seen.ayham@gmail.com)

الإخراج: عائده سلامه الشام

العمليات الفنية والتدقيق اللغوي: دار سين

الترقيم الدولي:

لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره بأية وسيلة من الوسائل إلا بإذن خاص من الناشر

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means including recording or any information storage and retrieval system without permission in writing from the publisher.

الزُّمَّانُ

دانا مقر



## المقدمة:

بدأت منك من بدء الزمكان، بدأت  
من الإنسان..

فلا مقدمة لحكايتي و لا نهاية...

إنها تحدث بداخلك أنت ، في زمانٍ  
و مكانٍ كُتبا

لكَ ومنكَ و إليكَ و عليكِ..



## الإهداء...

إلى الشخص الذي غيرَ حياتي، و  
سيغيرُ حياتك..

إذا أردتُ معرفتهُ فقط انظر إلى  
المرأة..

هذا الكتابُ لك أنت..

للإنسان..



# الفصل الأول



كانت الأمطارُ تنهمرُ بغزارةٍ على سفوح «تل مانج»، تتجمع  
الأمطار في منخفض أعلى التل وتساقط بين الحجارة السوداء  
والطحالب إلى الأرض المستوية والسفوح المجاورة التي ارتدت  
ثوباً زمردياً لا مجال للشك بأن خضرته تغطي السُّفوح على  
امتداد النظر إلا بعض الينابيع والحجارة والأشجار المترامية هنا  
وهناك.

لم تكن أية أشجار، كان طول الشجرة الواحدة يتجاوز  
التسعة أمتار وتتضخم ساقها الخشبية بمساحة تصلح لتكون  
منزلاً متواضعاً لعشاق الطبيعة والفن.

أوشكت الشمسُ على المغيب، وبهدوء أخذت تجمع ضفائرها  
المتناثرة والمترامية بين أوراق الأشجار وصفحات الماء، خيم  
الظلام وترامت النجوم على وشاح الليل حول بدرٍ عملاقٍ، تكادُ  
تضاريسه ترى بوضوح.

لم تكن السماء بوجهها الشاحب الذي نراه اليوم، كانت  
قريبة ونجومها لامعة بشدة، تتخللها الكواكب التي بثت ألوانها

المائلة للترابي المحمر هنا وهناك...وعلى أرض تل مانج أضيئت جذوع الأشجار كما لو أنها مسكونة، خيم الصمت.. غفت نسمة الهواء العذبة الباردة أعلى التل وبوشاحها الأمن أخذت تداعب النجوم الطائرة بين الأشجار، لم تكن نجوماً بل فراشات تضيء بشتى الألوان، على وقع نقيق الضفادع وخرير المياه.

إلى جانب البحيرة امتدت شجرة المانجو العملاقة، أضيء الجذع أيضاً، ليكشف عن أربع نوافذ زجاجية بشكل حلقات صغيرة نسبياً وباب خشبي يُنبئ بأن طول ساكنه لا يتجاوز المتر. وضعت هناك أعلى الرف، لكنه قد اختفى...!، اح اح اح اح اح اح، سيتوجب عليّ تنظيف هذه الرفوف، تكادُ غبارها تقتلني اح اح.

كانت ثلاثة رفوف مثبتة على جدار خشبي غير مستو، عليها ما يقارب الألف كتاب، وعلى الرف الثاني تُبت ريشة زرقاء يتخللها الأسود بانخفاض أقرب لعب في الرف، وعلى الأرض الترابية وضع كرسي خشبي كبير مقارنةً بالباب والطاولة، أما الجدران الخشبية فقد علق عليها الكثير من اللوحات دقيقة الصنع كما لو أنها خرائط، وحقيبة قماشية أنيقة زرقاء اللون مع وردة بيضاء بشكل مائل، ثبتت على إحدى النتوءات الجدارية.

(روح) فتاةٌ جميلةٌ بملامحٍ عشرينيةٍ، لكنها ابنةُ أربعين عاماً، قامتها قصيرةٌ بشكلٍ أنيقٍ، سمراءٌ بلمسةٍ ذهبيةٍ على الوجنتين الممتلئتين بلون الحنطة، تعلوهما عينان خضراوان بدرجة زمردية أنيقة، وإلى الأعلى من العيون الواسعة حاجبان كثيفان بشكلٍ جذابٍ يفوق الخيال، ابتسامةٌ ساحرةٌ من دون أية علاماتٍ مميزةٍ إلا شامةٌ أنيقةٌ على أسفل شفثتها.

كانت ترتدي رداءً أبيض اللون، بأكمامٍ طويلةٍ وسحبةٍ جميلةٍ أعلى الصدر مع حزامٍ أسودٍ مشدودٍ على الخصرٍ بدقةٍ فائقةٍ.  
روح: أظنُّ أنني وضعتُه في الطابق السفلي.

وبجانِبِ السرير، رفعت غطاءً خشبياً ليكشف عن درجاتٍ مائلةٍ تُوحي بعدم الثبات مع سياجٍ خشبيٍ غير أنيقٍ بلونٍ أغمق قليلاً من الدرجات.

رفعت رداها قليلاً، ثبتته بالحزام الأسود، صعدت إلى السرير، وجذبت الحزام إلى يدها..

وعبر السلم الخشبي نزلت إلى الطابق السفلي، كان مشابهاً للطابق العلوي كثيراً إلا أن الجدران تخلت عن اللوحات والخرائط، باستثناء لوحة عملاقةٍ مثبتةٍ بالقرب من المقعد الخشبي وخريطةٍ صغيرةٍ، مفسحةً المجالَ لأدواتٍ كثيرةٍ منها

منظار أسود عملاق يكاد يكون بحجم (روح)، وعقاير بأحجام مختلفة ومكتبة أيضاً تفوق تلك بالأناقة والمخزون..

نظرت إلى المقعد المصنوع بأخشاب البلوط، كان الكتاب مفتوحاً على صفحة معينة، وقد تسلل شعاعٌ من ضوء القمر على بقعةٍ جلديةٍ منه كُتِبَ عليها بلغةٍ غريبةٍ. كان الجوُّ في الطابقِ السفلي رطباً وبارداً قليلاً، مقارنةً بالطابق العلوي.

نظرت إلى الصفحة 79، أغلقت الكتاب وأخذت المصباح عائدةً إلى الطابق العلوي.

أحضرت روح إناءً من الحساءِ ورغيفاً من الخبز المعجون بالعسل، أغلقت بابها بعناية وجلست على الكرسي واضعةً الكتاب في حجرها.

روح: أنا جائعة ومتعبة أيضاً، لا بأس، ماذا كان رقم الصفحة؟  
نعم 79.

قرأت: وعليه قال الباحث سام أن هذا الكون رُتِبَ بعنايةٍ فائقةٍ، بفعل قوةٍ رهيبَةٍ يصعب على «الميدق» تخيلها، وأن محيطنا قُسمَ ل ماضٍ و حاضرٍ ومستقبلٍ...

أي ما فات وما نعيشه وما هو مستمرٌ بعدنا وأطلق على هذه  
الدوامة اسم.. الزَّمن واصفاً إياه بالغموض ومحدراً من العبثِ  
فيه.

قلبت الصفحات وصولاً إلى فصلٍ آخر... بعنوان:

(عندما نعبثُ بالزمن...).

غيرت من وضعيتها، قضمت قطعةً من الخبزِ بالعسلِ  
وركزت..



# الفصل الثاني..

«روح»



روح: هل عبثَ سام بالزَّمنِ حقاً؟

ردَّدت...دوامة...الزمنُ دوامةٌ أي يتكرر.. من سيعبث به هذه المرة؟ انتقلت إلى الصفحة التالية.

«نحن كائناتٌ مزيفة، نرفض الحقيقة عند معرفتها، ونطالب بمعرفتها عندما ترفضنا، ذاهبون إلى الهلاك أو إلى زمكانٍ آخر، ربما نرتقي أو نعود إلى نقطة الصفر..»

لست خائفاً من هذه النقلة النوعية، فأنا أتيتُ من عالمٍ أجهله إلى تل مانج بفضل امرأة، وهذه المرة من تل مانج إلى مكان آخر بواسطة جذع شجرة... سام عندما نعبت بالزمن (الحقيقة بعين سام).

❖ كان «الميدقي» بعد موته أو توقف العازف عن العزف، حسب وصفهم، ينقل إلى شجرة بلوط عملاقة، ويستقر بجانب الكثير من رفاقه في جذعها الترابي.

«في اليوم الواحد ننتقلُ بين آلافِ العوالم، عالمٌ ندركه بأقدامنا وآخرُ بطاقةٍ رهيبةٍ قابعةٍ في أعماقنا، عندما نغلق أعيننا ونسافرُ إلى مكانٍ آخر غير التل، كلنا جربنا هذا..

وهذا ما سأسميه ب.. الشرود... بهذه العملية تقتحم الوجود، ولا تسألني عن موقعه، ثمَّ تنام لتري نفسك في كونٍ آخر أو في مكانك بزمانٍ لا تنتمي إليه، لكنه ينتمي إليك» سام عندما نعبث بالزمن (الشرود).

تذكرت روح أحلامها المتكررة حول تلك الشابة البيضاء،  
تقف أعلى التل وتناديها..

(اقتربي مني، أعطني ذاكرتي، روحي... لأحيا بها، أريدُ الخروجَ من عالمي، تعالي...)

ارتعشت، شعرت بجفافٍ في حنجرتها، شربت قليلاً من الماء،  
وتابعت..

«حدثكم عن هذا كثيراً، لكن لا جدوى، ومع هذا سأكتب ليقراً أحدكم يوماً ما، فاستناداً لمبدأ السبب والنتيجة، سيُقرأ المكتوب..

التلُ صغيرٌ ونحن نتكاثر.. إلى متى!؟

أنتم أمام حلين، إما أن نعي رسالة التل أو نضيع في دوامة الزمن..

في أرضنا تقبع طاقة رهيبة، بحثتُ عنها كثيراً، لكن لم أجد شيء، وعرفتُ أنّ هذه القوة تبدأُ منا وتنتهي بنا، أما أرضنا فقد وجدت لنا، والعلاقة بيننا وإياها ترابطية، سببية بالتناوب، لن نكونَ سبباً أو نتيجةً دائماً، نحن كالزمن، كل شيءٍ هنا بوجهين متناقضين، دوامةٌ أخرى..

الميدقُ القدامى كانوا يرتفعون أمتاراً عن الأرض ويتنقلون على أدراج الهواء، لكن فكرة الارتفاع واستكشاف التل بما حوله أزعجتهم، خافوا من أحجامهم الضئيلة أمامَ عالمٍ واسعٍ عرفوه بأفكارهم..

امتنعوا عن النظر للأعلى، فسلبوا القدرة على الارتفاع والتحليق.. وأورثونا عجزهم»

«أجدادنا لم يحرمونا من آفاق التل فقط، بل سلبونا كوناً كاملاً»

روح: الطاقة لا تُفنى يا سام، تلك الهبة على طرقات الذاكرة، هل أستطيع؟! لا أخشى هذا التغيير، سأراقب الزمن، ربّما أبقى.. والتل؟! لا أعلم

عدلت جلستها، أغلقت كتابها وحدقت بالسقف:

«أجدادنا لم يحرمونا من آفاق التل فقط، بل سلبونا كوناً كاملاً».. هل سأسلبه من أحفادي أيضاً؟

تذكرت... «لن نكون سبباً أو نتيجةً دائماً»... سأنقذُ ذاكرتي.

توقف العازف عن العزف: اعتقادهم حول ضربات القلب  
قديمًا.. في زمن الميدق قبل ظهور الإنسان.

## الفصل الثالث..



على قمة تل مانج جلست روح بعد أن سوّت رداءها الأبيض،  
واضعة الريشة الزرقاء والخريطة أمامها، كانت متعبة كما لو  
أنها للتو حملت شيئاً ثقيلاً إلى القمة، وإلى يمينها وضعت منظاراً  
أسوداً، وركزت بالقمر العملاق.

روح: أتمنى ألا يمر أحدٌ من هنا، سيسخرون مني كالعادة،  
أو ينعنونني بالمجنونة.

ويدها التي تتألف من ثلاثة أصابع وكف يناسبها قربت  
المنظار من عينيها ودونت..

من عشرِ سنوات كان القمر أقرب، وقد دونتُ هذا في أسفل  
هذه الخارطة.. حركت واحداً من أصابعها الثلاثة إلى العلامة  
التي تقصدها، وتابعت..

عندها أيضاً كانت الشمس بوضعٍ آخر وميل أشعتها على التل  
بزاوية مختلفة، تفاقم التغيير في العقد الماضي بنسبة 20%، أما  
اليوم وخلال أقل من أسبوع ابتعد القمر مسافة كانت تستغرق

عقدين أو أكثر، ثمة شيء يجري بسرعة، يتغير هو الآخر، أيعقل  
أنَّه الزمن الذي قرأت عنه في كتب سام؟ أم ماذا...؟

كان سام رجلاً حكيماً عاش قبل روح بستة عقود، شهد  
ولادة الكتابة والكتب ولاحظ كيف يتطور سكان التل، حتى أنه  
في كتابه الأخير (على هاوية المستقبل) يدعي أنه زار أرضاً  
غير التل، ونُعت بالجنون عندما توقع أن «الميدق» سيتطورون  
مع الوقت كما العالم، وربما يصبح لديهم خمسة أصابع وتتغير  
ملامحهم وأعمارهم، بأمر الطبيعة بل الزمن، ومن أكثر أقوال  
سام تأثيراً بروح كان قوله:

«الزمن شيءٌ غامضٌ يدور فينا وندور فيه، لا نستطيع إيقافه  
لاستكشافه لكننا بالطبع نستطيع أن نغمض أعيننا وننظر بعينٍ  
ثالثةٍ إلى أعماقنا، في عمق الكون يقبع السبيل».

حركت روح الخارطة قليلاً أمام القمر وأمالتها ليتسنى لها  
رؤية أوضح.

روح: تقول الخارطة أنه قبل ستة قرون حدث شيء ما، قبل  
أن نأت نحن...دلها على هذا بقعة سوداء وُضعت في مكان  
معين من الخارطة.

وقد مرَّ على وجودنا سبعة قرون أيضاً سنبلفها بعد ثلاثين  
مرة يظهر فيها القمر أو كما يسميها سام.. بعد شهر، لا أعلم  
ولكن ثمة سر حول هذا الرقم..7

ثمّ وضعت كفيها أمامها، ونظرت إلى أصابعها الستة، تمنّت لو أنها تملك واحداً إضافياً لترى التمثيل الصحيح للعدد سبعة أمامها، نسييت هذا وتابعت..

روح: نعم هناك سر ما، حتى أن النساء في التل ينجبن أطفالهن بعد ما يقارب ال 210 أو أكثر قليلاً من طلّات القمر، أو بلغة سام سبعة شهور.. إذاً

السبعة هذه تتعلّق بظهور أو رحيل شيء ما، إنها تنبئ بفجر جديد، بولادة جديدة.

فكرت بأن أصابعها التي لم تبلغ السبعة، تخبرها أنها لن تكون بعد مرور القرن السابع على وجود الميدق.

نظرت إلى القمر، ركزت في تفاصيله.. كانت صغيرة أمامه.

روح: هل يوجد غيرنا حقاً على هذه الأرض؟ وعلى القمر أيضاً؟ ربما أعرف هذا لو بقيت بعد القرن السابع.

لكنها تذكرت سام.. لا تعبت بالزمن..، وقالت بشيء من السخرية: لا تعبت بشغفي يا سام.

المجنونة أعلى التل، تبني مركبة كالتي تحدثنا عنها العجوز لتصعد إلى القمر العملاق...وارتفع صوت ضحكة جميلة.

مرحّباً روح.. قالتها الجميلة وهي تبتسم.

روح: يقين، أهلا بك... أنا بحاجة لك... كانت سعيدة ومتحمسة.  
يقين صديقة روح المقربة، عاشقة لجنونها، ولكتابات  
سام أيضاً ، كانت مؤمنة بوجود حياة أخرى وتبحث عن سبيل  
للخروج من التل و الاستكشاف، تتميز بملامح جدية ناعمة إلى  
حد بعيد، عيناها واسعتان جداً وداكنتان بلون الليل، مناسبتان  
تماماً لشعرها الأسود الطويل و بشرتها السمراء..

رفعت يقين أصابعها الثلاثة، ردت خصلات شعرها خلف  
أذنها التي تكاد تكون أقرب ل مثلث وجلست بجانب روح.

يقين: الخارطة مجدداً.. ما الجديد يا روح ؟

قصت عليها روح استنتاجها حول السبعات.

يقين: نعم، أنا أصدق كلامك روح، لكننا لن نعبث بالزمن،  
وسنرضي فضولنا بنفس الوقت و رغبتنا في البقاء.

روح: لكن كيف؟

يقين: اسمعي، ثمة طاقة غريبة داخلنا يا روح، حدثنا عنها  
سام في كتابه الثالث ووصفها بالخلود، يقول:

«نحن لا نعيش بفضل الطعام والشراب فقط، ولن نموت  
عندما يتوقف العازف أسفل أعناقنا عن العزف، هناك طاقة  
غريبة تتصاعد وتيرتها في عنقي وصدغي، أوّمن بها، إنها أنقى

من مياه التل وهشة كأوراقه، هي خالدة في هذه الأرض ولن  
ترحل برحيل أجسادنا»

روح: أتقصدين أننا سنعبث بها؟ لكنها هشة كأوراق التل..  
ماذا لو أفسدناها.

يقين: بل سنكتشف عظمتها، ربما نزودها بذاكرة حية، تبقى  
لترى القادم.

روح: لست واثقة من هذا..

رفعت روح رداءها، وضعت قدميها في البركة المطرية أعلى  
التل، كذلك فعلت يقين، وأخذتا تتأملان السفوح والفرشات  
المضيئة.



## الفصل الرابع..

اجتماعُ طرطوس.



في مدينة طرطوس على سواحل البحر المتوسط، كانت الوفود مجتمعة، رجالٌ ونساءٌ بملابسٍ رسمية أنيقة، الياقات البيضاء كانت تحاولُ توحيد الملامح رغم اختلافها، العيون الصينية، الابتسامات الفيليبينية، الشقار الأوروبي والسمرية العربية..

كلها كانت هنا ولهدفٍ واحدٍ، هام على ما يبدو.

تغيرت ملامح طرطوس كثيراً بعد النهضة العلمية والتكنولوجية التي شهدتها سوريا، لمسة الحداثة غيرت معالم المدينة إلى الأبد، الجبال الشامخة لا تزال هنا لكنها سمحت للأيام بتعديل ثوبها الأخضر بإضافة الكثير من الجواهر المترامية على السفوح، أضواءُ المعامل والمصانع والمناطق السكنية العمالية الأنيقة، ناهيك عن تلفريك الذي أضفى دفناً للمكان..، ووفود السياح المتجهة مع مرشدها السياحي إلى المتحف المائي، متحف يفوق الخيال تحت الماء.

إنها الخامسة مساءً..

اتجه الرجال والنساء أصحاب الملابس الرسمية إلى قواربهم  
أيضاً ومن هناك إلى باخرة «جلق».

تحت المياه في أعماق المتوسط عُقدَ اجتماعٌ غير وجه  
المستقبل مرة ثانية.

كانت القاعة جميلة للغاية، سجادٌ أزرقٌ افترش الأرض و  
المقاعد الفيروزية تناثرت بشكلٍ نصف دائري، على ثلاث  
طبقات، النوافذ الزجاجية كانت كبيرة وصافية لتتيح مشاهدة  
أسطورية للأعماق، والكثير من الأضواء التي علقت للزينة في  
سقف القاعة، بالإضافة إلى الإضاءة التكنولوجية المثيرة التي  
أنارت عمق المحيط بأكمله، وعلى المنصة الأنيقة ارتفعت الأعلام  
السورية وأعلام الدول المستضافة، بالإضافة إلى راية غريبة  
نوعاً ما، كانت فيروزية تماماً كلون المقاعد تحملُ رمزاً أنيقاً..  
سرعان ما يدرك ناظرها أنها.. راية: (المجلس الدولي للتكنولوجيا  
والمعرفة الرقمية).

يقفُ على المنصة رجلٌ وسيمٌ بملامح أوروبية وبلكنته  
الأمريكية يقول:

سيداتي.. سادتي

لطلما كانت دمشق الملهمة الجميلة عبر التاريخ، والمعشوقة المدللة للفنانين و الشعراء بل معشوقة الفن والجمال.

في الماضي شكلت هذه الأرض الخيرة إرثاً تاريخياً وحضارياً للعالم أجمع، دمشق معقل الإنسانية الأول بوجهها الأرقى، بالإضافة إلى بروز الكثير من الشخصيات المؤثرة والباقية عبر صفحات التاريخ وصفحات قلوبنا منها، حزنت هذه الجميلة كثيراً لكنها نهضت كطائر العنقاء الذي كان أسطورةً قبل الشام، واستحقت لقب.. إرث المستقبل، فالمستقبل للجميع والإرث بروعة تاريخها وأهلها العظام.

واليوم نجتمع هنا مرة أخرى لمناقشة أمر بات يهدد المجتمع الإنساني، لاحظنا في الآونة الأخيرة بعد الحداثة العالمية ونهضة دول العالم الثالث مادياً وعلمياً، ظهور الكثير من المؤسسات الخاصة التي أخذ روادها يربطون العلم بالتاريخ بالتكنولوجيا، حتى ادَّعوا أنهم استطاعوا إيجاد تلك الآلة التي نخشاها.

بدا عليه التوتر، أخرج منديله، جفف جبهته وتابع..

نحنُ لا نعارض هذا الانفتاح، كيف نعارضه ونحن من رعاه وراقبه حتى وصل إلى هذه الدرجة من التطور والرفعة، لكن عندما يصل الأمر إلى هنا، فأنا أؤكد لكم أننا سنغرق في رواياتٍ

وحكاياتٍ خياليةٍ لطالما رفضها واقعنا، وسننالُ مصيرَ أبطالها،  
وإنِّي لا أريدُ أن أعبَ دورَ البطولة ولكن..

علينا أن نُرضِ شغفنا بوعي أكبر، بمحبةٍ للإنسانية التي  
غرقت في الكثير من الدماء قبل أن تزهر، لن نخاطر بالعالمِ  
الذي أشقانا برسمه، فالتاريخُ يكرّرُ نفسه لكن بطريقةٍ أرقى،  
هذه المرة خلف ستار التطور وتحت عنوان عريض.. العلم، لكننا  
بالحقيقة نكتب قصتنا القادمة تحت عنوان غير مكتوب..

«الجشع البشري».

وبصفتي السفير العام للمجلس الدولي للتكنولوجيا والمعرفة  
الرقمية، أُطالبُ هيئات المنظمة في مختلف أنحاء العالم،  
والسادة السفراء هنا.. بالنظر جيداً في هذا الموضوع، ووضع  
حلول جذرية قبل أن تخرج الأزمة عن السيطرة.

نزل الشاب الوسيم عن المنصة وتوجه إلى القاعة التي غيرت  
شكل كراسيها التي اصطفت بانتظام حول طاولة رقمية غريبة،  
ثمّ جلس بشكلٍ يوحي أنه الأعلى هنا، شبك كفيه على الطاولة  
مُبرزاً ساعته الذكية الأنيقة، تنهد ثم قال:

أهلاً بكم مجدداً..

أشارَ إلى شابٍ آخر يجلس بالقرب منه، شابٌ بملامح جدية  
وسيمة، كانَ أسمرًا مع لحية سوداء خفيفة وشعر طويل نسيبًا،  
ثم قال له: سيد عبد الله، اقرأ علينا تقرير المجلس لو سمحت.

سوّى السيد عبد الله (سفير دولة الإمارات) جلسته، وفي  
سره كان راغبًا بالضحك من الطريقة التي نطق بها السيد دان  
(السفير العام) اسمه، لكنه تذكر أن اللغة لم تعد حاجزاً منذ زمنٍ  
طويل، وقال: حُباً وكرماً سيد دان.

عبدالله: بعد اجتماع المجلس الأول في عاصمة الضباب  
لندن.. توصلنا إلى الآتي...



## الفصل الخامس..



ما إن لاحت الشمسُ في الأفق، حتى أخذت ضفائرها  
الذهبية تتسابق لتعانق.. إرث المستقبل..، دمشق بسحرها القديم  
وإطلالتها الجديدة عاصمةً الجمال الإنساني، استطاع هذا البلد  
أن يجمعَ بين القديم والحديث، بين الظل والنور، بين الحبِّ  
والحرب..

كانت المدينة كما لو أنها طابقان، بطرقاتها المتناقضة  
المتناظرة بدقة تفوق الخيال، الأبنية الشاهقة تحرس المدينة،  
والأشجار الفارعة تبارك المكان، وهناك على القناطرِ الحجرية  
تسلق الياسمين... لا يزالُ عاشقاً لأصالةِ هذه الحرة بثوبها  
الحضاري الجديد.

وقف دان عند تقاطع الطرق، ينظرُ إلى ساعةٍ معصمه تارة  
وإلى البناء الجبار أمام عينيه.. مكتبةُ الأسد.. ، كانت المكتبة  
مطابقة لصورة لها في كتابٍ قرأه دان عن دمشق، مع بعض  
التعديلات و الإدخالات التكنولوجية فيها، فتارةً تبدو بشكلٍ

كتاب مفتوح عملاق وتارة أخرى تبدو كالدواة.. ثم تعود لشكلها وهكذا دواليك، سرعان ما اكتشف دان أنها خدعة رقمية.

وفي الجهة المقابلة من الشارع، ترجل شابٌ أسمر وسيم من وسيلة نقل عامة، ولوح بإشارةٍ تنطوي على الكثير من المحبة والطيبة لـ دان.

دان: أهلاً عبد الله.

عبدالله: أهلاً صديقي، يبدو أنك مستمتع باستكشاف هذه المدينة.

دان: بصراحة كل يوم اكتشف فيها شيئاً جديداً، تذكرني كثيراً بالقطعة الموسيقية التي أفضلها، لا أذكر اسمها، لكنها دمشق، النسخة المسموعة منها.

عبد الله: لديك نظرة راقية ومختلفة للصورة، هل رأيت الجدارية خلفك؟

دان: حقاً، لم انتبه لها، كنت أتأمل بناء المكتبة.

عبدالله: في آخر زيارة لي إلى دمشق، كانت هذه اللوحة عبارة عن أزهار وأشجار، أما اليوم فبالإضافة إلى خضرتها وضع هذا النصب التذكاري فيها، وهو يمثل حقبة مؤلمة من تاريخ هذا البلد شاركت الحرب في رسمها، و وضعت هنا لأن

هذه الساحة بمثابة عين الزمن في أرض الشام، شاهدة عليها  
من أيام الأمويين إلى عصر الحداثة هذا.

دان: أشعر أنني سأعشق الشام بسرعة كبيرة.

عبد الله: إنه القرن التاسع بعد العشرين كل شيء سريع  
وعشقتك للشام أيضاً... ابتسم ثم تابع: هل نذهب؟

دان: نعم بالطبع.

لم يكن من السهل التعرف إلى الشابين بملابسهما الرياضية  
البسيطة، بعد الذي حدث في اجتماع طرطوس، رأى دان أن  
الأعضاء لا يتعاملون بجدية مع الأزمة التي داهمت المجتمع  
التقني، بل الإنساني، إلا أن عبد الله كان مختلفاً وقد تعامل مع  
الأمر بحكمة استمدها من أرضه وجدية مرسومة في ملامحه.

تحت مظلة من القش جلس الاثنان على كُرسيين خشبيين  
نُحِتَا ببراعةٍ، أمام طاولة رُخامية أو.. هكذا كانت تبدو.

عبدالله: لاحظت ذلك اليوم اهتمامك بالأمر وتلك الآلة.

دان: نعم، من كان ليصدق أننا نجلس مع طاولة رقمية، ثمَّ  
حرك يده بطريقة جعلت الطاولة تنير وأدخل طلبه،

وتابع: أو أننا ننظر بجدية وإمكانية للعيش على كوكب آخر،  
وقد بدأنا بهذا فعلاً، يا صديقي نحن بالكاد نستخدم ذاكرتنا

بفضل هذه الشرائح الذكية، وأشار إلى واحدة بباطن كفه، كل شيء يتغير ووجود الآلة ممكن بل أكيد بعد كل هذه الإشارات... أخرجت الطاولة كوبين من القهوة الدمشقية بنكهة الهال وقطعتين من الحلوى.

عبدالله: وهو يسحب فنجاناه إليه، لكن هذا الشيء بالتحديد يحتاج لنظرة تكاد تكون أبعد وأعمق من التقانة و التكنولوجيا، يحتاج لعقل بشري سليم، تفكير لامع، مبدع، لفكرة غير موجودة. دان: مرة أولى، وبعدها تأتي كأنها الأولى، لأنها مناقضة ظاهرياً، لتسير الأمور ضمن الحلقة ذاتها وتتكرر ما لم يحدث تدخل خارجي يغير المسار.

عبدالله: وهو يتمنى أن يتعد جليسه عن الرموز و الفصاحة المبالغ بها... وأنا أخشى أنها المرة بعد الأولى، ولا أستطيع تصور الأمور بعدها.

دان: أوافقك، عبثنا بكل شيء، حتى بإنسانيتنا، أصبحنا عقول فقط، هذا عظيم، لكن العقل لا يملك انتماءً كافياً، نحن لا ننتمي لشيء، وإذا عبثنا بأخر انتماءٍ لنا، سنفقد ما يجمعنا، ونفقد كل شيء.

عبدالله: بمحاولة منه لتخفيف لهجة جليسه الرسمية..

يا رجل لا تحدثني عن الانتماء والنخيل على قيد الحياة.. ثم  
ابتسم ابتسامة أقرب للضحك.

دان: ههههه، دبي، فيضٌ من الجمال والرقي، روحٌ للجميع،  
دامت لنا.

عبدالله: بعد أن عبر عن شكره ل دان بابتسامة جميلة: إذاً  
نحنُ نتفق أن ما يُبنى يعني أننا سنُفنى ما لم نوقفه.

دان: وقد شعر بتقلص في معدته عندما تذكر ماذا يعني  
اكتمال بناء تلك الآلة، وأوافقك وأذكرك أننا سنتحرك وبسرعة.

عبدالله: وقد شعر بالارتياح عند اكتشاف رزانه هذا الرجل  
بعيداً عن القيود والرسمية: التقرير في حوزتك، أليس كذلك؟  
دان: ها هو ذا.

عبدالله: إذاً ضعه هنا لو سمحت، لنعيد قراءته، سيفسر  
الكثير.

دان: في هذا التقرير يقول فريقنا أن الفكرة كانت مطروحة  
ولكنها كانت على هوامش أفكارنا، خاصةً أن السباقين فيها  
صانعو أفلام الخيال العلمي، وكاتبو الروايات الخيالية، لكن مع  
اكتشاف القطعة الناقصة في العاصمة لندن بات الأمر مطروحاً  
وبشدة.

عبدالله: قطعة ناقصة؟

دان: المقصود بها، الفكرة... إنها مستوحاة بل موجودة في لندن، وتابع:

تم العمل عليها في مختبر مخفي، ومكشوف لنا بطريقة ذكية، هناك بالقرب من مصدر الإلهام الأول.

عبدالله: ومن هم أبطال تقريرنا؟

دان: طبيبٌ برازيلي وزوجته، مع شاب عبقري في التكنولوجيا من أصول عربية، بالإضافة إلى فتاة مجهولة الهوية وغريبة الأطوار.

عبدالله: قلت لي المختبر حيث الآلة في مصدر الإلهام الأول؟  
دان: تماماً..

عبدالله: إنها لندن، وجهتنا القادمة

دان: لكننا نحتاج لخطة بعدها نذهب إلى لندن

عبدالله: قلت سابقاً أننا أصبحنا عقولاً فقط، ولن يعارض أي عقل لا يعرف إلا الجشع لا الشغف بالقادم اختراع كهذا، وقد وجدتُ فيك تلك البذرة، هي أيضاً تقبع في أعماقي أنا، لا نزال بشر رغم إنكار ملامح عصرنا للإنسانيتنا، ثق بي، لن

نحتاج سوى الشجاعة والذكاء لندخل بينهم بهدوء ونسحب بنفس الطريقة، فالفكرة باتت موجودة، لو دمرنا أول آلة لا يوجد رادع لاختراع الثانية، لن ننطلق من الآلة بل من الصانع. صمت قليلاً، رشف من قهوته وتابع..

معركتنا تتولد في العقول وحصن السلام لن يبنى إلا فيها. دان: صدقت، كان لا يزال مشدوداً ومتأثراً بكلام عبدالله... لدينا ساعات قليلة بل أيام، فريقنا لاحظ تحركات ومشاكل غريبة في الشبكة بالقرب من مكان المختبر.. أو المكان الذي قد نجد فيه المختبر.

عبدالله: إذا لنحجز بطاقتين إلى لندن غداً.  
دان: طلبتها للتو..

عبدالله: والآن سنتناول الطعام و نخطط بهدوء لبعض الإجراءات... و ضع يده على كرسيه وتابع: بالمناسبة أنا من سيسدد كلفة الطعام...قالها بجدية وهو يشير إلى رصيده الاقتصادي على الشريحة بباطن يده.

دان: وهو يضحك، وأنا قبلت عرضك، أطلب العشاء لنا

فكر دان في سره، أن ما ينقص العالم ويحول بينه وبين المثالية هو وجهٌ سقط منا عندما كنا نعبر بين العقود، وجهٌ

عربيُّ صادقٌ كريمٌ بالفكر والمشاعر النبيلة والقيم، تماماً ككرم  
عبدالله، ثم تخيل وجه عبدالله مع وجوه أخرى للعالم رسمها  
بمخيلته، ضحك وقال بصوت منخفض.. هذا ما ينتصنا.

الرصيد الاقتصادي: طريقة الدفع في القرن الـ29..، يوجد  
الكثير من أنواع رصيد التسديد... الاقتصادي للطعام والعقارات  
والأدوات الحديثة.

الاجتماعي: يستخدم في أماكن العلاج، ولصالح العلاقات  
الاجتماعية كالمهر وغيره..

طريقة الحصول عليه هي العمل فقط، ويسدد عن طريق  
إشارات ترسل من الشرائح الذكية المغروسة بباطن الكف، والتي  
تخزن ذاكرة وبيانات حاملها.

ابتكر الشريحة... الشاب المصري أحمد قادر، كوسيلة مساعدة  
للعقل البشري الذي بات يحمل ملايين الأفكار والمعلومات.

# الفصل السادس..

«فندق دمشق»



أحمد: العشاء جاهز، إلى أين سيدي؟  
المدير: أحسنت، إلى الغرفة رقم 79 في الطابق الثاني عشر..  
أشكرك على جهودك، سترتاح قريباً عند إصلاح الروبوت.  
أحمد: هذا واجبي.

دخل أحمد إلى المصعد في الطابق الثاني وثبت الطاولة المحملة  
بالأطباق أمامه، ضغط على الأزرار 1279..

بعد ثوانٍ كان المصعد أمام الغرفة ال 79..  
وقف أحمد أمام باب الغرفة قليلاً وفكر بهذا القدر الذي ساقه  
إلى هنا، بعد عطل في الروبوت المسؤول عن التوصيل، وهذا نادراً  
ما يحدث، لم تكن الغرفة جديدة على أحمد، فهو يعمل كمساعد  
محاسب في الفندق منذ تسع سنوات، أعتاد أن يأت الرجال أصحاب  
الأعمال ذائعة الصيت إلى هذه الغرفة، أو الشباب المصابين ب  
جنون العظمة.... هذا ما كان يعتقدُه نسبةً للمرايا الكثيرة في  
الغرفة 79.

هذه المرة لم يكن الزائر شاب بل فتاة بيضاء، بشعرٍ أسود  
سميك، و عيون لامعة، بالإضافة إلى تلك الشامة أسفل شفاهها.  
طرق الباب.

أحمد: مرحباً أنستي، أعتذر على التأخير، هناك عطل...أحمر  
وجهه وتابع.. هذا العشاء.  
الفتاة: شكراً سيدي.

أحمد: مُحاولاً إطالة الحديث: كل الأمور تسيير بشكل جيد؟  
الفتاة: نعم أشكرك، دمشق رائعة ومعاملتهم كذلك.

أحمد: الحمدالله، اسمي أحمد وأنا في الخدمة.

الفتاة: اسمي شغف، تشرفتُ بك

عبرَ أحمد الممر وهو يبتسم بشكل جعله يبدو أبه.

أغلق باب الغرفة 79.

كانت الغرفة كبيرة جداً، فيها عشرات المرايا ونافاذة كبيرة أو  
باب مطلٌ على الشرفة.

فتحت شغف الأطباق جميعها، لكنها اكتفت بكأسٍ من عصير  
المانجو واتجهت بعدها إلى الشرفة.

كان الهواء رطباً ولطيفاً في الخارج والسماءُ مقمرة، شعرت  
شغف بوحدةٍ عارمة جعلتها تتمنى لو كان القمر أقرب، أكبر لتبوح  
له بما يتقل كاهلها.

شبكت ساقبها ورفعتهما إلى الكرسي، ثم أرخت رأسها على حافة الكرسي وفكرت:

ما حدث ذلك اليوم، لا يفارق تفكيري لحظة، أنا أملك تلك الرغبة أيضاً، لكن عقلي يرفضها لأنني أدرك خطورة الأمر، هل أتصرف بوعيٍ وأضع نفسي في موقع المسؤولية أم أكمل طريقي كشابة مولعة بالاكشاف والتطوير، أأكونُ السفيرة شغف أم شغف فقط؟!

كانت شغف ممثلة دولة العراق، في المجلس الدولي للتكنولوجيا والتقانة، وبعد اجتماع طرطوس وجدت نفسها مشوشة، وشغفها تلاشى عندما تذكرت تلك الوجوه المتحلقة حول الطاولة وهي مستهزئة بالقادم.

شغف: حاولت كثيراً التواصل مع السفير العام أو نائبه سفير دولة الإمارات، لكن لا جدوى... أيعقلُ أنهما فهمانى فهماً خاطئاً..

تذكرت ما حصل في اجتماع طرطوس:

السفيرة الهندية وهي ترفعُ نظارتها السميكة: برأيي هذا المشروع مصيره الفشل، لا أمل من آلة كهذه

شغف: لكننا بدأنا بشيء كهذا عندما ابتكرنا الكاميرات وآلات التسجيل والأقراص.. صمتت قليلاً ثم تابعت: الأمر يا سادة لا يحتاج أكثر من عقل بشري ألغى كل آفاق تفكيره ووضع معرفته

في شغف لا نهائي أمام عين لا ترى إلا القادم أو الماضي وتجردُ  
الإنسان من كل الصفات إلا الترقيم والترميز.. ثم توجهت إلى  
السفيرة الهندية: سيدتي هذا ممكن، والحذر واجب.

كان الشاب الوسيم ذو الملامح الأوروبية يراقبها باهتمام،  
كذلك فعل عبدالله الإماراتي، بينما كان الحشد غارقاً في أفكاره أو  
في أعماق البحر.

دان: تناقشنا كثيراً يا سادة، ولأننا بحاجةٍ إلى الكلمة الصادقة  
المحملة بنية العمل أكثر من حاجتنا إلى الكلام المزخرف المزيف  
...تنحج وتابع: أفتح باب التصويت، من سيكمل معنا البحث  
والتدقيق في هذا الأمر.

ارتفعت يد عبدالله فقط.

دان: حسناً، استمتعوا بجمال إرث المستقبل.. شكراً لوقتكم.  
وقف الأوروبي الوسيم واتجه إلى سطح الباخرة. سمع صوتاً  
يناديه.

سيد دان، مهلاً

دان: عبدالله، أهلاً.

عبدالله: لماذا انهيت الاجتماع بهذه العجلة؟

دان: ما من خاتمةٍ أفضل للذي حدث في القاعة، خاتمة  
مفتوحة... قالها وهو يغمز بعينه اليسرى.

عبدالله: حمداً لله ظننت أنك تخليت عن الأمر.

دان: لا أبداً، أنا مؤمن بوجود تلك الآلة...أخذ كأساً من الكاكاو الساخن قدمه له روبوت الضيافة في الباخرة، رشف منه قليلاً، رفع حاجبيه بطريقة فيها الكثير من الثقة بالنفس والرسمية التي لا تفارق هذا الرجل، ثم قال: اقترح أن نجتمع أنا وأنت صديقي. عبدالله: والعراقية؟ لاحظ أن لهجته لم تكن رسمية بشكل كاف...تابع: أقصد شغف...فكر في سره أن كلمته الأولى كانت رسمية أكثر.

دان:لم تصوت، أظنها غيرت رأيها أو لا أعلم ... بكل الأحوال الوقت ضيق لن ننتظر أحد

عبدالله: سنلتقي هنا، ثم أخرج قصاصة ورقية من جيبه وكتب عليها بالإنجليزية العنوان المقصود.

دان: أوراق في عصر التكنولوجيا، ضحك الاثنان

عبدالله: هذا آمن أكثر، أراك قريباً.

دان: إلى اللقاء عبدالله.

قال عبدالله وهو يبتعد، لو كانت جدتي على قيد الحياة وسمعت اسمي ينطق بهذه الطريقة.. وابتسم.

شغف: كان عبدالله غارقاً في أفكاره وابتسم، حاولت أن أكلمه لكنه ابتعد، كذلك دان كان مهتماً بمكالمة هاتفية.

لم أكن مركزة أثناء التصويت، ذهلني ما رأيت خلف الزجاج،  
صورة ترددت كثيراً في أحلامي...  
فلا استوعبت تلك اللقطة ولا ركزت في التصويت. لقد خسرتُ  
مرتين.

لا لن أخسر، كل الإشارات تقول أن الخطوة الأولى هي التوجه  
إلى موطن الإلهام الأول، في تقرير المنظمة الأخير عن المختبر  
ذُكر هذا..

كانت شغف قد قرأت التقرير خلسةً منذ أسبوعين أثناء تواجدها  
في نيو يورك، فصلاحياتها لا تسمح لها بهذا.  
تابعت: بريطانيا...هي وجهتي القادمة.  
أغمضت عينيها وتذكرت قول نقاء (صديقتها المقربة):

«عندما يُعلن الكون عن مغامرة، إما أن نلعب البطولة أو نشاهد  
من هوامش الحياة».. لن أكون على الهامش.

في صباح اليوم التالي ، السابع من شهر أيار، انطلقت طائرة  
من مطار دمشق الدولي إلى لندن...على متنها راكبة واحدة فقط.

## الفصل السابع..

لندن.. موطن الإلهام الأول.



في إحدى مطارات لندن الخاصةً تزاحمت الوفود، أصوات الأحاديث الجانبية، بكاء الأطفال، تعابير الدهشة والفرح كانت متناقضة ككل شيء في هذا المكان، كتناقض الوجوه والوجاهات، كتناقض هذه المملكة نفسها.

وقف دان مع عبدالله ممسكين بحقيبتين صغيرتين نسبياً تحركا بعيداً عن الوفود... لقد اختارا الطيران عن طريق مطار خاص كي لا يُلفتا الأنظار ويكن تتبعهما صعباً.

دان: أعشق هذا البلد، زرته آخر مرة من سنتين برفقة والدي عبدالله: غريبة هي لندن، كأنها مركز الكون بكم التناقضات فيها، في هذا العالم سيطرت معرفة المقارنة، فنحن لا نعرف الشيء إلا بنظيره، لا قديم بلا جديد، لا حب بلا كره، ذكر وأنثى، قبح وجمال، تماماً كلندن، عاصمة الضباب، والبلد التي لا تغيب عنها الشمس... هي بحضورها رجل بجمالها أنثى.

قاطعه دان: وعلى خط الطول صفر يرتفع برج يتبعه العالم أجمع، يتحكم بتوقيتنا... قالها وهو يحاول جذب انتباه عبدالله لوجهتهما القادمة.

عبدالله مع ابتسامة توحى أن الرسالة وصلت: وهذا تناقض آخر يثبت صحة قولي.  
ضحك الصديقان.

دان: لم أضحك من قبل بنفس الطريقة التي أضحك فيها خلال الساعات القليلة التي قضيتها معك، مسرور بمعرفتك بعيداً عن المؤتمرات والحياة الرسمية.

عبدالله وهو يسرع باتجاه تكسي نقل عامة: وأنا فخور بصحبة السفير العام.  
ضحك دان مرة أخرى.

كان دان شاب ذكي، درس علم الهندسات التكنولوجية، بالإضافة إلى اهتمامه بالتاريخ والحضارات القديمة إلى جانب شغفه بالمستقبل والفضاء، حضوره القوي أهله لاستلام منصب السفير العام بعمر الـ23، تتقاطع اهتماماته مع اهتمامات عبدالله في علم التاريخ والتكنولوجيا إضافةً إلى شغف الأخير باللغات والسياحة مما ساعده هذا على استلام منصب النائب بعمر الـ24.

صعدا إلى تكسي الأجرة، تحدث دان إلى السائق بلكنة بريطانية لا تشبهه لكنها لائقة ثم أشاح بنظره إلى النافذة.

عبدالله: دان، هل أنت واثق من كون برج اليزابيث هو الهدف؟ كانت المرة الأولى التي يكلمه فيها باسمه الأول .

دان: هو أقرب شيء للفكرة، مركز التناقضات... وابتسم...

عبدالله: أمل هذا، لكننا لا نملك دليلاً قاطعاً.

دان: صديقي، من فنون مولعي المغامرات والاستكشاف، استخدام الوسائل طويلة الأمد وربط التفاصيل بأخرى تشبهها، إنها دراما الحياة ونحن على وشك مشاهدة مسرحية من هذا النوع.

عبدالله: أخشى أن نلعب البطولة فيها

ضحك دان، قبل أن يتابع عبدالله: أي أن المختبر أو أياً كان، بالقرب من البرج؟

دان: هذا ما نريد معرفته.

عبدالله: لكن كيف سيتسنى لهم العمل في منطقة مراقبة كهذه؟

دان: منذُ فقداننا الرقابة الذاتية، لم يعد لهذا النوع من المراقبة أية أهمية.

عبدالله: حتى أن الازدحام قد يكون عنصراً فعالاً في هذا الهدف، هل خانتنا دقائق بيغ بن؟ وصمت العالم عن هذا الانتقال.

دان: ربما أراد بيغ بن اكتشاف نفسه أيضاً، تماماً كالصناعات الطامحين لتلك الآلة.

عبدالله: هذا ما أخشاه

دان بصوت منخفض كي لا يسمعه سائق التوكسي: هل تعتقد أن أعضاء المجلس نسوا الأمر؟

عبدالله: بل تناسوا، كانوا أصماء بعقول صاغية وذاكرة حية قبل أن يشعروا أن طموحاتهم بخطر، فتجاهلوا الأمر تماماً.  
رد دان بإيماءة.

اصطدم الاثنان بالكراسي الأمامية، قبل أن يسمعا صوت المكابح العنيفة وصيحات السائق التي بدت أقرب للشتم واللعنات.  
دان: ماذا حدث؟

عبدالله موجهاً كلامه للسائق؟ ما الذي حدث؟

السائق: أحدهم كان على وشك الاصطدام بسيارتي.. ثم  
ترجل من سيارته ليتفقد ما حدث.

فكر دان في سره، في طرقات لندن المزدحمة السريعة  
يحدث هذا؟ .. مشاة!

وقبل أن يفصح عن أفكاره لزميله المصدوم نزل الأخير  
لمساعدة السائق الذي كان يسند شخصاً ما ويتجه للسيارة.  
كانت شابة عشرينية بملامح عربية، جميلة مع خالها الأسود  
أسفل شفيتها...تذكرها دان.

دان في سره: سفيرة العراق شغف، كانت في سوريا، كيف  
أتت إلى هنا؟

السائق: هل أنت بحاجة للمشفى.

دان وهو يتفحص ذراعها و عنقها: لا أرى حاجة لهذا.  
شغف: أنا بخير. ثم نظرت إلى الاثنتين نظرة ذات معنى.

السائق: هل تعرفان الشابة من قبل؟

عبدالله: لا بأس سيدتي، تستطيعين مرافقتنا إلى وجهتك..  
ثم توجه إلى السائق: أسرع لو سمحت.

استجاب السائق له، شعر عبدالله بالفخر لإنقاذه الموقف،  
لاحظ دان تعابير وجهه، فابتسم وأشاح بنظره بعيداً.

رفع السائق صوت الموسيقى بلا استئذان وتابع طريقه.

دان هامساً كي لا يسمعه غير عبدالله: كيف ومتى وصلت؟  
عبدالله: لا أعلم، هذا غريب حقاً لكن سنمنحها فرصة  
للتوضيح.

لم يكن دان مرتاحاً لوجودها، لكنه تجاهل الأمر وبعد نصف  
ساعة من الصمت الصاخب بالموسيقى العالية وصلوا.  
السائق: 200 وحدة اقتصادية... ومد كفه مبرزاً شريحته  
التي كانت بوضع استقبال للبيانات.

دان : هذا كثير.. حسناً تفضل ...أرسل المبلغ من شريحته إلى  
السائق الجشع.

عبدالله ل دان: هذا كثير لماذا أعطيته

دان: أنا غير مرتاح له، أريد أن يبتعد وحسب

نزل الصديقان من السيارة.

السائق: والجميلة هل ستكمل أم ماذا؟

شعرت شغف بتقلص في معدتها عندما التقت نظراتهما،  
وقالت: سأنزل هنا.

السائق: سنقضي وقتاً رائعاً، بعيداً عن غريبي الأطوار..  
وأشار إلى دان وعبدالله

شغف بحزم: سأنزل هنا.

بعد ثوان قليلة كانت تقف مع دان و عبدالله اللذان لم  
يعيراها اي اهتمام.

رفع السائق صوت الموسيقى.. نظر لشغف وودعها بابتسامة  
توحي أنها ليست الأخيرة، وانطلق بعيداً.



# الفصل الثامن...

شُغف..



اطفأت الأنوار وتمددتُ على السرير في الغرفة 79 في دمشق، ولأول مرة بعدَ انقطاع طويل شعرتُ بالأمان، نسَماتُ الشام أيقظت جمالَ الإنسانِ بداخلي، أعادت شحن روعي، شعرتُ وكأنني وجدت ما سقط مني بين العقود تماماً حيث أضع العالم إنسانيته، تعبتُ كثيراً حاولتُ أن أجمع أفكارِي، شتات نفسي، أن أعرف ماذا أريد؟!!

صوتٌ في داخلي يقول: غامري.. جازفي.. خاطري.. جربي، وصوتي يقول: «بكل شيء إلا بضميرك»، فكرتُ أنني بحاجة إلى أمي لا أزالُ طفلة، جميعنا أمام جبروت الكون أطفال، نبكي بصمت والحياةُ تعاملنا بقلب أب. الأب لا تبصرُ حنانه بسهولة لكنك تستنبطُ قسوته بوضوح، حنانه يُقبع في كفيه هناك على خارطة الحياة.. في سمرة وجهه.. في ردائه المهترئ أمام ثوبك الأنيق.. بألمه.. في دموعه المُسترة برفاهيتك..

هو كالحياة تماماً لا تفهمها إلا عندما تنظرُ إليها بعينٍ ثالثة.  
دخلتُ في نوم عميق أو هذا ما أذكره، كانت هناك وكنْتُ أنا،  
أنظرُ للمشهد من عينيها هي، كلُّ شيءٍ أخضر، أقرب، أجمل..  
على تلةٍ مُرتفعة كانت وكنْتُ.. تجلس وأجلس، شعرتُ بالمياه  
تلامس قدمها، أصواتٌ كثيرةٌ تعالت..  
لن أموت..

سأبقى قابِعٌ في أعماقهم جميعاً..  
أريدُ أن أرى المستقبل.. هل هذا حقيقي!  
حُلُمي القديم بل اليومي عاودني الليلة أيضاً، لكن هذه المرة  
كانَ أطول:

نادتني فتاةٌ من أسفل التلة..لكن باسمٍ ليسَ اسمي...  
لن نموت، سنعيش وجدتها.. إنها الطاقة.  
استيقظت..

سويتُ جلستي.. أمسكتُ رأسي وانسابَ شعري بين أصابعي،  
لماذا يا شغف لماذا؟ كل يوم هذا الكابوس واليوم بهذه الشدة..  
انهمرت دموعي مسحتها.. أشعلتُ الأضواء واقتربتُ منَ  
المرأة، نظرتُ في عيني في عمقها ثمة شيءٌ غريب، يُشبهني  
لكن لا أعرفه، سألتُ نفسي: أهو الشغفُ يا شغف؟

صليتُ كثيراً لخالقي ونمت...، عندما استيقظتُ وجدتُ نفسي بين ذراعي الشَّمس، شمسُ الشامِ الدافئة، توجهتُ إلى الحمام واغتسلت، سرحتُ شعري، ارتديتُ ملابسِي وأكثرُتُ من الأزرقِ فيها.. أذكرُ أنني بالغتُ في زينتي رُبما لأخفي ألمي.. بعدها جمعتُ أغراضي وتفقدتها قبل أن أخرج.

نظرتُ إلى شاشةِ جوالي قبل أن أدخل المصعد، وجدتُ نتائجَ بحثي عن مطارات لندن الخاصّة وبسرعة إلى الخرائط الإلكترونية حاولتُ أن أحدد أقرب المطارات الخاصة من البرج...هكذا يعمل عقل دان، فشابُّ عبقرِيّ كهذا لن يختار الذهاب إلى مطار دولي معروف.

اتصلتُ بشركة الطيران واخترتُ الحجز الأقرب، كانت طيارتي ستنطلق بعد ساعتين.. أسرعتُ إلى قسم الاستقبال سددتُ تكلفة إقامتي بالفندق من بطاقتي الذكية و انطلقتُ إلى شوارعِ الشَّام.

شغف.. شغف.. ناداني أحدهم، كان أحمد الشاب الذي أوصل لي الطعام البارحة . نظرتُ إليه وابتسمت.

أحمد: أردتُ أن أودعك فقط... قالها بتوتر وتردد.

شغف: آه، شكراً لك أحمد...قلتها وقد ارتسمت ابتسامة على وجهي زادت عندما رأيت نظرتة بعد سماعه لاسمه مني.

أحمد: في الواقع... هذه لك.. ومد يده بعلبة ذهبية مزخرفة بالأخضر الملكي .

شغف: شكراً لك، لكن..

قاطعني، وقال:

حسناً شغف أعرف بماذا تفكري، أعرفك البارحة فقط لكن أقبلها مني.

شغف: شكراً، قلتها بتردد.

أحمد: حافظي على هذا الشغف يا شغف، ثم غادر مبتسماً، كذلك فعلتُ.

كان أحمد شاباً وسيماً، يختصر الشام في ملامحه، تمنيتُ لو أستطيع أن أعانقه، رأيتُ في عينيه خبرة كونية ونظرات عميقة، كانت نظراته تبصرني أكثر مني، رغم قصر اللقاء.. لن أنسى النبل الذي أبصرته في عينيك..عفتك.. و اختلافك عنهم.

أنتَ الوجه الذي ينقصني وينقص هذا العالم.

في الواقع لم يكن اللقاء قصيراً، راقبتُك في الدقائق القليلة التي خرجتُ بها إلى الشرفات، رأيتُ أخلاقك النبيلة تنبضُ بكلِّ

شيءٍ حولك، أنت لا تشبههم أعمق من سطحيتهم، نظرتُ إليَّ  
بطريقةٍ أخرى، بنظرة تذكرني بأبي، نظرة فقدتها في عيون هذا  
العالم وسأفتقدك أيضاً.



هناك في المطار بعد وصولي إلى لندن ضعتُ بين الوفود،  
كنتُ سأوقف الرجل السمين هناك قبل أن أراهما يمساك  
بحقائبهما ويتبادلان أطراف الحديث، صعدا إلى التكي، لم  
يبتعدا كثيراً ولن يبتعدا كانت الطريق مزدحمة على غير عاداتها.  
وكما هي لندن، ناقضتُ نفسي وركضتُ كالمجنونة على  
الطريق، انتظرتُ حتى خفت السيارة من سرعتها و رميت  
نفسى أمامها بحذر متهور.

نجحت خطتي...، فبعد أن تخلصت من نظرات السائق  
القبیحة كنت أقف معهما، مع السفير العام وسفير الإمارات  
العربية المتحدة، في لندن وعلى بعد خطوات من برج إليزابيث  
شعرتُ بنشوة الانتصار وبثقل نظراتهما، فأنا ضيفهم الثقيل  
كنتُ أعرف أن الأمور ستسير بشكل جيد..

استجمعتُ شتات نفسي.. وقلت:

حسناً، آسفة، حدث كل شيء بسرعة...سكتتُ لثانية وأكملت.  
نظرا إليَّ بتركيزٍ وأصغيا..



# الفصل التاسع..

(عبدُ الله).



كانت الأبراج والأبنية المذهبة بالأخضر الملكي تلمعُ بفعلِ  
شذرات النور المتطايرة على جناح الليل، الأفق اصطبغَ بلون  
النور والظلام، بسحرِ الظلِّ والألوان، سيمفونية جديدة على  
أوتارِ لندن بينَ الرحيل والقدوم.

أسدلَّ الليل ستاره على مسرحية التناقض في صفحة الأفق،  
ونبضت المدينة بالأضواء والحياة.

كُنَّا نجلسُ أمام أحد المطاعم مقابل دائرة ويستمنستر.

شعرتُ بالارتياح وكذلك دان بعد أن بررت لنا شغف موقفيها  
في ذلك اليوم في اجتماع طرطوس، كانت الفتاة صادقة وذكية  
برزانة، عرفتُ أن شغف ستلعب دور البطولة في مغامرتنا، طلبتُ  
العشاء الذي كان عبارة عن أطباق من اللحم المشوي والخضار  
والعصائر..

شغف: سمعتُ أن أهل بريطانيا فقط يستطيعون الدخول إلى  
البرج، فهو بحالة غير جيدة نوعاً ما من الداخل، وسيبدو طلبنا  
غريباً فالمقصد لأي سائح المنظر الخارجي والساعة.

دان: لن يكون هذا صعباً، سندعي أننا هنا لدراسة إمكانية  
ربط التكنولوجيا بهذا المكان الأثري، ومناصبنا ستسهل هذا.

شغف: أمل ذلك.

ارتفع صوت بيغ بن مشيراً إلى الساعة التاسعة، سرت في جسدي رعشة، أيقظ الصوت شعوراً في داخلي مات أمام الشاشات و في غمار الحياة، نظرتُ إلى دان وشغف كانا أيضاً منسجمين تماماً مع صوته العذب الصّداح.

شغف: هل شرحتما رأيكما أكثر حول تلك الفكرة.

دان: في التقرير الصّادر عن منظمتنا ذُكرت لندن بشكل صريح على أنها المقصد، ثمّ ضغطتُ على أحد أزرار ساعته الذكية فظهر أمامنا على الطاولة صورة ضوئية لخريطة ذكية وتابع:

ثمة سرٌّ في هذه الأرض يتقاطع مع الزمان بشكل واضح، خطوط الطول، لو دققتم هنا ستلاحظون أن البرج لم يبنَ عبثاً، والطريقة التي عُزلَ فيها عن الجاذبية جردتهُ قدر الإمكان من المكان، بيغ بن هي الوقت و الزّمن فقط، لو عزلنا الآلة عن المكان بطريقة مستوحاة من الساعة وربطناها بالماضي كما فعلنا مع الكاميرات و آلات التسجيل، ثم مع بعض القوانين الفيزيائية ودراسة حركة الأشياء مع إهمال بعض العوامل المؤثرة، سنصلُ إليها.. ليست مستحيلة.

وتابع: وسيكون الأمر أمتع وأخطر لو دخل علم الطاقة بالموضوع.

عبدالله: بهذه الطريقة ستكون الآلة قرب العازل أسفل  
البرج.

شغف: هذا ما فكرت به، والوصول إلى أسفل البرج ليس  
بالأمر الصعب، هناك إلى جانب السلالم الكثير من الأبواب  
الصغيرة، يزعمون أنها تخفي بعض التمديدات والأشرطة خلفها،  
قد يكون أحدها هو ضالتنا.

دان: رائع، كنت أعتقد أننا سنجد درج يتجه للأسفل.

شغف: سيتهجه ولكن بشكل متعرج قليلاً.

دان: أي؟؟

عبدالله: أنت تقصدين تعرج غرينتش، يتعرج هذا الخط كي  
لا يمر من جزر المحيط الهادي...قلتها و أنا أشعر بالفخر لأنني  
ربحت مشاركة قيمة غير الطعام في النقاش

دان: ولو مرَّ سيكون في تلك الجزر يومان متجاوران  
مختلفان، أي متناقضان.. تناقض آخر.

شغف: إذاً كي يتحقق الانسجام في هذه الصورة (وأشارت  
إلى اللوحة الضوئية بفعل ساعة دان)، يجب أن يتحقق آخر  
تناقض.. غرينتش المستقيم.

عبدالله: ماض و حاضر و مستقبل.. مفردات متناقضة،  
انسجامها يعني الزّمن.. وجدناها إذا سنسلك المسار المستقيم  
دان: لست خبيراً في علم الطاقة لكن.. لو نامَ العالمُ  
مغناطيسياً سنؤمن جميعاً بنفسِ الفكرة و نشدُ بذاتِ الاتجاه  
،ستتعاضم إمكانية النجاح .

شغف (وقد تغيرت ملامحها): لقد تذكرت..

في الغد وفي تمام الساعة الثانية عشر سيُقدم عرض يُبث  
من ويستمنستر، الإعلان له كان مشوقاً ويستنزف الفضول  
البشري بطريقة غريبة.. سنغوص في الوقت وتتراقص نظراتنا  
مع بيغ بن.

دان: سينام العالم مغناطيسياً.. قالها وهو ينظر بعيداً.

عبدالله: وسأنام أنا.. قلتُها محاولاً تلطيف الأجواء يجب أن  
نرتاح قليلاً ونكمل صباحاً.

فكرتُ في سِرِّي:

كم هي جميلة نظرات شغف، تفهم كل تصرفاتي، فِطنتها  
العربية أمام حسي الفكاهي مع رزانه دان ورسميته الجذابة  
كان تناقضاً جديداً في لندن.

عندما أرمي كلماتي على مسامعها لأخفف من وطأة نقاشٍ  
بينهما، تملو الضحكات وفي عيونٍ شغفٍ فهمٍ عميقٍ يناقضُ براءة  
دان التي تكون أقرب لسذاجة جميلة أمام حسي الفكاهي العربي.  
نحنُ نملك ما هو أقوى من العبثِ بالزمنِ.. من جشعِ  
البشر.. من حداثةِ العالمِ المفرطة.. نملك ذلك الجوهر.. إنسانيتنا  
المتناغمة مع حداثتنا كفضيلة يقهر هذا العالم المادّي.

دان: نطقت بشيءٍ مفيدٍ (قالها وهو يبتسم) إذا سنعود  
للفندق الآن ونعود في تمام السادسة.

شغف: أخشى أنه علينا البدء الآن قبل منتصف نهار الغد.  
قاطعتُها.. شغف، المكان مراقب الآن ودخولنا سيثير الشكوك  
شغف: حسناً، إذا في تمام السادسة ولا تنسيا بالزي الرسمي..  
قالتها مع تشديد على آخر كلمتين

وبدوري قلت: ملاحظة جيدة يا صديقتي ، لن يدخل أعضاء  
المجلس الدولي للتكنولوجيا و التقانة بالملابس الرياضية ، وأخصُّ  
بقولي السّفير العام.

نظرَ إليَّ دان ثمَّ إلى شرطه الأبيض وقميصه القطني الأزرق  
الفاتح، وانفجرَ ضاحكاً، كذلك فعلت شغف وأنا.

حجزنا ثلاث غرف متجاورة، وفي تمام الحادية عشر، دوى  
صوت بيبغ بن وأطفئت الأنوار.



# الفصل العاشر..



كانت السَّماء صافية، زرقتها ساحرة، زادتُها جمالاً شذراتُ  
الغيومِ المتناثرة بعفوية وهدوء..

ما أحوجنا لدقائقٍ مع هذا الجمالِ الفطري، في عالمٍ سريعٍ  
اصطناعي.

دان: هل تأخرت؟

عبدالله: في الوقت المناسب.. كعادتك.

شغف: الإعلان كاملاً، تمّ تحميله منذ سبع ثواني.. قالتها  
وهي تنظر إلى شاشة هاتفها المحمول.

عبدالله: كامل! أين هو؟ ... دعيني أراه. قالها بصوت مرتفع

دان: أنظرا إلى اليسار.. فلنغير مكاننا بهدوء

في اليسار كان يقف حارس سمين يراقب الثلاثي باهتمامٍ

واضح.

أخذتهما شغف إلى مقصورة أمانة في قطار ويستمنستر

السريع.

شغف: سينطلق القطار بعد دقيقةٍ وتسع عشر ثانية.

دان: ممتاز، نستطيع مشاهدة العرض كاملاً وبعدها التوجه إلى المتحف الرقمي.

ضغطت شغف على حرف G كبير في منتصف الشاشة، ارتفع صوت موسيقى تُشبه لحن فيلم هاري بوتر بشكل هيبستيري، ظهر على الشاشة روبوت بهيئة فتاة شقراء جذابة اقتربت الكاميرا منها كثيراً حتى غاصت في عمق عينها اليسرى، تبدلت الشاشة إلى أرض واسعة مبنية بأحدث التقنيات.. أرض مألوفة.. كانت ويستمنستر المستقبل لكن بعين الروبوتات، ثم ملأ الشاشة وجه لساحر مُسنٍ يحمل في يده آلة مألوفة أيضاً ، كانت آلة الانتقال عبر الزمن بنسختها المعدلة من أفلام هاري بوتر، رفع الرجل الآلة عالياً لتصدر ضوءاً أزرق قوياً..

غاصت الشاشة بالسواد قبل أن تعود العدسة إلى ويستمنستر المستقبل و تبدأ كائنات صغيرة زرقاء بالانتشار في كل مكان، توقف العرض.

عبدالله: كأنها السنافر.

دان: بجدية نعم هي، لكن ما علاقتها؟

شغف: إنها الشّهوات والمعاصي السبع

عبدالله : لم أفهم

شغف: انزلا الآن سينطلق القطار بعد سبع ثوانٍ، سأشرح لك في طريقنا للمتحف.

نزل الثلاثة من المقصورة، وساروا على رصيفٍ رقمي ذاتي. شغف: أخشى أن تنتشر السنافر الحقيقية بعد أن تعمل تلك الآلة وتنتقل إلى هذا الزمن المحرف.

عبدالله: وما علاقة السنافر؟ يبدو الأمر سخيفاً..

شغف : هي مجرد رمز، لن تنتشر سنافر حقيقة.. أقصد أن يكون المقصد منها انتشار الشهوات البشرية المخبئة خلف البراءة المتمثلة بزرققتها، ألم تقرأ قصة السنافر الحقيقية يوماً؟... اذهب إلى محركات البحث.

دان: فهمتُ الآن...، ستصبح الإنسانية فكرة خيالية نروي حكايات عن أبطالها لأبنائنا.

شغف: سنعارض ترتيب العالم، ونُبدل الزمكان على هوانا.

عبدالله: سينتهي عصرنا ويبدأ عصر الروبوتات البشرية.

سيدي.. نقدم عرضاً رائعاً اليوم.. تفضلوا بالدخول.. قالتها امرأة تمسك ببطاقة رقمية ، بزيها الرسمي.

دان: المتحف. أسرعوا

بدأوا بالهرولة، كان المتحف يبعد سبع دقائق عن مكانهما  
الأول...لقد وصلوا.

كانت بوابة المتحف عملاقة حرفياً نُقِشت عليها لوحة كبيرة  
مكونة من 7000 قطعة «بَزَل» ذهبية تمثل قلب الإنسان..

ما إن دخل الثلاثة منطقة التعرف حتى تحركت قطع البزل  
الذهبية مفضحة المجال لبوابتين صغيرتين بالنسبة لحجم  
البوابة العملاقة.

دخلت شغف مع دان من بوابة ولحق بهما عبدالله من  
البوابة الثانية.

كان المتحف مكيف، جوّه بارد كثيراً، لكنه منعش وجميل،  
صوت الشلالات المائية وقطرات الماء على الحجارة الأمامية  
المحيطة بالقاعة...يفوق الخيال

في زواياه السبع جلس عازفي الكمان مع آلاتهم التي تبعد  
ألحاناً تُذهب الحياة عن خصلات الروح من فرط عمقها،  
شعرت شغف بالدوار، أمسكت برأسها قبل أن تمر صورة سريعة  
على ذاكرتها لفتاة جميلة تقول: سام.. سام.. لقد أشار لعازف  
الكمان أسفل تراقينا.

عبدالله: أنت بخير؟

شغف: نوعاً ما.

كانت القاعة الأرضية عملاقة، مقسومة بجدار مصنوع من أحجار كريمة بطول لا يتجاوز المتر، يأخذ زوار المتحف كؤوس زرقاء ويملؤونها بمياه الشلالات بعدها تسكب على مناطق معينة بالجدار فيفسح عن أبوابه السبعة للجانب الآخر.

وهذا ما فعله الثلاثة..، قال دان:

تصميم القاعة مطابق للقلب البشري تشريحياً

عبدالله: البطين الأيمن يرحب بك... أسرع، كان يشير إلى

مياه الشلالات في كأس دان.

ضحك الثلاثة لدعابة عبدالله.

بعد أن عبروا الجدار إلى الجانب الثاني، تقدم إليهم روبوت

أبيض ورحب بهم:

أهلاً بكم في المتحف الثاني عالمياً...فلنذهب في رحلة سريعة

إلى أقسامه ال 700.

شغف: لا شكراً، نريد فقط الذهاب إلى قسم اللوحات

الجدارية.

الروبوت: من هنا.. مشيراً إلى لوحة لعين بشرية كبيرة.

دان: هذه العين تشبه نظرة روبوت الفتاة الشقراء في

الإعلان...قالها ل عبدالله بصوت منخفض.

تقدموا إلى اللوحة التي تحركت وتحولت إلى فتاة شقراء  
تحمل العين ذاتها...سقط قلب دان و عبدالله.. بينما كانت  
شغف في عالم آخر.

انحنت الفتاة داخل لوحها ورفعت ستاراً أسوداً ثم اختفت  
وظهر ممر طويل مضاء بالأحمر العقيقي.. ما إن دخلوا إليه  
حتى أسدلت اللوحة ستارها و تركتهم في الممر الأحمر.  
كانت أجزاء الممر متشابهة ومتكررة، فقط تتغير الإضاءة  
أحياناً إلى الفيروزي.

عبدالله: شغف، لماذا اخترت هذا القسم؟

شغف: لدي إحساس قوي، جزء من مخيلتي هنا.

عبدالله: قطعنا هذه المسافة لنتبع إحساس؟؟

شغف: أمضيت حياتك مؤمن بما لا تراه على أمل اللقاء، لا  
تحكم على إحساسي بهذه السرعة.

دان: لا أفهم، لكن نظراً لنجاحاتك في الأيام السابقة بفضل  
إحساسك، سنتبعك.

كانوا قد وصلوا إلى قاعة عملاقة.

كانت القاعة مرصوفة بالأخضر المذهب وعلى جدرانها أسدلت  
ستائر بنية مضاءة بالأبيض مما خلق جو من الهدوء في الغرفة.

أخذت شغف تقلب ناظريها بين اللوحات، كذلك فعل دان  
وعبدالله، وبعد مرور نصف ساعة قرروا الرحيل.. لا شيء.

دان: شغف.. لا شيء عزيزتي.. قالها وهو يرسم نصف  
ابتسامة بين الحزن والسخرية على وجهه.

شغف: آسفة فلنرحل، أردت دليل أخير على أن تلك الآلة هي  
بطل قصتنا لكن.. وصمتت

دان: أنتِ متعبة، لا بأس.. أين عبدالله؟

كان عبدالله واقفاً في الزاوية السابعة أمام لوحة كبيرة.

عبدالله: انظرا..

كانت لوحة فسيفسائية ملونة بالأزرق والرمادي والأبيض،  
وعليها رسم ثلاثة أشخاص.. طفل مذعور يمسك بعنقه شاب لا  
يشبهه وعلى عنق الشاب يد ل مسن يمنعه.

يفصل بين كل شخصين أربعون قطعة، والنور في عنق  
الشاب يخترق سبعة مسارات قبل أن يتبدد خلف أشجارٍ قبيحة  
في الزاوية السفلية من اللوحة.

شهقت شغف.. انتقال الأرواح..

ماذا؟

الجوهر ثابت والشكل يتغير.. إنه الزمن.

عبدالله: و تلك الأرقام الثابتة، أربعون قطعة كل مرة، هل

يرمز هذا لشيء؟

شغف: هذا رقم يحمل طاقة سحرية رهيبية، و يقال أن شفاء

النفس من أي ذنب يحتاج لخلوة بالذات مدتها أربعين يوماً.

عبدالله: لنظهر الممر للزمن مرة أخرى من خلالنا.. بأربعين

يوماً.

دان: إذا الآلة المبنية هي آلة انتقال عبر الزمن؟

شغف: نعم

عبدالله: هل عبثوا بشيء.

شغف: أخشى أنها عبثت بي أيضاً..... .

# الفصل الحادي عشر..

دَان



تمددتُ على سريري وفكرتُ بأنَّ شغفَ وعبدالله قد ناما منذ فترة، حاولتُ أن أنام لكنني لم أستطع، تقلبتُ كثيراً حتى نهضتُ و فتحتُ النافذة، كانت غرفتي مظلمة على ويستمنستر.. لفتتني الطَّريقة التي عانقَ بها القمر برج إليزابيث وما حوله، شعرتُ وكأنني غارقٌ في إحدى روايات الخيال أو أفلام ديزني. سُرعانَ ما تحولَ فكري إلى عبدالله و شغف، ثقتهما بالغدِ تجعلني أشكُ بنفسي، يملكان طاقة لطالما بحثتُ عنها.. «الإيمان»، مصطلحٌ أمضيتُ أيامي أحاربه لكن هذه الليلة مختلفة، أردتُ أن أجد ذلك الجزء الضائع مني قبل الآلة.. لن أبحثَ عن الكلُّ بهذا الجزء\*.

أعدتُ النظرَ في أبحاثي ومناظراتي عن الله، رفضتُ وجوده ويزدادُ رفضي كلما تعلمتُ أكثر.. كلما قرأت.. عندما أفتحُ طاقة اللاحدود لأفكاري، كنتُ أعتقد أن الكون أتى بظروفٍ مشابهة لذلك الأنبوب، و لأول مرةٍ فكرت:

المادة كانت موجودة والذرات والكيمياء لكن من حركت تلك  
المواد؟

تجاهلتُ الفكرة، ربما انتشرت وتفاعلت.. لكن من كشف  
الغطاء عنها قبل أن تنتشر؟

تذكرتُ ذلك الصبي الصغير تحت الطاولة، ملحداً بأفكار  
هذا العالم، رأيتُ تلك الأقدام وصوت الرصاص كأنهما أمامي  
الآن.. ثمَّ وجدتُ نفسي لا إرادياً أطلبُ العونَ منه، طلبتُ الحماية  
من إلهٍ لم أعتقد بوجوده يوماً.. لكِنَّهُ قد نجاني.

كنتُ في التاسعة من عمري عندما سألتُ أمي..

هل الولايات المتحدة هي القوة العظمى حقاً، أمي؟

نعم عزيزي، إنها المسيطرة والمهيمنة، لا عبث معها.

كنتُ أعرف هذا لكنني رأيتُ فجوة غير مرئية في هذا البلد  
العظيم، الدولة المهيمنة تفتقر إلى الانتماء، إنها أشبه باجتماع  
طرطوس.. آلاف الاختلافات تحاول الانسجام تحت سقفٍ واحد،  
لم أشعر يوماً بارتباطي بها وعشقي لها كعشق عبدالله للنخيل و  
شغف للأغوار...

اكتشفتُ لتوي ثغرة في البلد الأعظم.. ثغرة في أفكاري.

الانتماء، ليست المرة الأولى التي أفكر فيها بهذا المصطلح،

شاركتُ أمي مرة مفهومي عن الانتماء، قالت لي:

وماذا يعني هذا، هل ستعبث بالولايات المتحدة مثلاً؟

بالطبع لا، الحضارة والعلوم والحدائثة تنبض في أرجائها، أنا  
لا أنتمي لها لكنني أنتمي لهذه المفردات.  
ضاع نور القمر بين ستائر أفكار، أعدت النظر إليه.. إلى  
ويستمنستر.. ثم ضاعت أفكارى بين خصلات نوره.. وفكرتُ:  
لم أكن يوماً سيئاً إلا بحق نفسي، هل عدم معرفتي بالله نابعة من  
جهلي بذاتي؟، أنا ممتن للطاقة العظيمة التي تحكمتنا، ممتن للقوة  
النقية، لهذا الكون.. لهذا العقل.. ولمساحة التفكير الآمنة هذه.  
سأسميها الله، هذه الطاقة هي أنت منذ الآن، وأنا ممتن لها  
أي أنني ممتن لك..  
شعرتُ أن الكلام يخرج مني إليّ، هل أنت موجودٌ بداخلي؟،  
لا أعلم لكن ذلك الرقي في التعامل معك أي مع ذاتنا ومع  
الناس والطبيعة، هو جوهر الأديان.  
شعرتُ بضربات قلبي تنبض في صدغي، تذكرت ما قرأتُ  
عن الميدق الذين عاشوا قبل البشر بآلاف السنين، كان الميدق  
يعتقدوا أن عازفاً يجلس تحت ترافيقهم ويعزف هذا الإيقاع، أنا  
أشبههم بالأعدار التي أنكرُ وجودك فيها..  
نظرتُ إلى هيبة بيغ بن وتذكرتُ محاضرة عبدالله عن  
التناقضات، قلبي و عقلي تناقضٌ جديدٌ يا لندُن.. بحثت عن  
الانسجام فكنت أنت.. الله.  
تجاهلتُ أفكارى قليلاً وعاودتُ التفكير بالميدق، هل سيكون  
لنا نفس المصير؟، نرحل يوماً وتأتي مخلوقات أكثر تطوراً  
يسخرون من أفكارنا... يكونون لنا كما نحن لمن سبقنا؟

البذرة هي الأساس والثمرة أرقى أشكالها، لكن الشجرة  
مرحلة مهمة، بل مملكة بحد ذاتها.  
قد نكون الشجرة.. ولكن هل سينتهي الأمر عند الثمرة؟ قد  
يستلهم الكون منها مرحلة جديدة...  
ضحكت، ما أعمق أفكارى!  
لكنني متعب الآن، لا مزيد من الأفكار..  
نظرتُ مرة جديدة إلى بيغ بن ثم للسماء.. كن معي غداً  
ودائماً يا الله ، توجهتُ إلى سريري وخلدتُ للنوم.  
في الصباح الباكر ، خرجتُ من الحمام بعد أن اغتسلت لأجد  
رسالة من شغف تطلب فيها مني الإسراع قليلاً ، ارتديت ملابسى  
وكعادتي رغم ضيق الوقت كنت حريصاً على أناقتي، وضعت ربطة  
العنق و ساعة معصمي، تأملتُ نفسي كثيراً في المرآة قبل أن اكتشفَ  
شيئاً جديداً في ملامحي، أهو الإيمان؟!، ابتسمت وتوجهت إلى المكان  
الذي توعدنا فيه، كانت شغف ترتدي سروالاً رسمياً واسعاً وقميصاً  
أبيضاً بياقة مرتفعة بعناية فائقة وقد عقصت شعرها ورفعته مما أتاح  
لي مشاهدة قرطبيها بوضوح، كانت جميلة ببراءة، غير أنني لا أرى فيها  
إلا الفتاة المستقلة و الصديقة اللطيفة، ابتسمت عندما رأنتني ، و إلى  
جانها كان يقف عبدالله بزيه الرسمى و ربطة عنقه الحمراء الهادئة،  
ابتسم لي ابتسامته المعهودة التي دفعتني للضحك.

# الفصل الثاني عشر.

رُوح.../تل مانج/



كُنَّا فِي الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ لِمَنْزِلِي فِي شَجَرَةِ الْمَانِجُو، الشَّمْسُ  
عَلَى وَشِكِ الْمَغِيبِ، ثَبَتْتُ الْمَصْبَاحَ وَدَعَمْتُ الْإِنَارَةَ بِفَانُوسٍ يَقِينُ،  
كَانَ الْجَوُّ رَطْبًا وَبَارِدًا كَثِيرًا مَقَارَنَةً بِالطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ، أَمْيَاهُ  
الْبَحِيرَةُ السَّبَبُ أَمْ مَاذَا؟، وَضَعْتُ طَرَاحَتَيْنِ بِلَوْنٍ وَرَدِيٍّ عَلَى  
طَاوِلَةٍ خَشَبِيَّةٍ كَبِيرَةٍ مَرْتَفَعَةٍ قَلِيلًا عَنِ الْأَرْضِ لِنَجْلِسَ عَلَيْهَا.

أَتَى يَقِينُ الْآنَ وَمَعَهَا بَعْضُ الطَّعَامِ الَّذِي تَنَاوَلْتَهُ قَبْلَ أَنْ  
نَسْتَلْقِيَ عَلَى الطَرَاحَتَيْنِ وَنَغُوصَ فِي أَفْكَارِنَا.

يَقِينُ: لَمْ أَرَ هَذِهِ اللَّوْحَةَ مِنْ قَبْلِ يَا رُوحَ.

وَأَشَارَتْ إِلَى جِدَارِيَّةٍ بَعْرُضِ مِتْرٍ وَطَوَّلِ يَسَاوِيِ الْمِتْرِ تَقْرِيْبًا  
إِلَى يَمِينِ الْمَكْتَبَةِ.

رُوحَ: نَعَمْ، إِنَّهَا تَعُودُ لَجَدَّتِي وَهِيَ هُنَا مِنْ زَمَنِ طَوِيلٍ...

كُنْتُ أَتَحَدَّثُ بَعْدَ إِهْتِمَامٍ.

نَهَضْتُ يَقِينُ وَقَرَّبْتُ الْفَانُوسَ مِنَ اللَّوْحَةِ لِتَتَأَمَّلَهَا بِتَرْكِيزٍ..

خلفية فسيفسائية ملونة بالأزرق والرمادي والأبيض، وعليها  
رُسم ثلاثة أشخاص.. طفلٌ مدعور يمسك بعنق شاب لا يشبهه  
وعلى عنق الشاب يد لرجلٍ مسنٍ يمنعه.

يفصل بين كل شخصين أربعون قطعة، والنور في عنق  
الشاب يخترق سبعة مسارات قبل أن يتبدد خلف أشجارٍ قبيحة  
الشكل في الزاوية السفلية من اللوحة.

سُرعان ما ابتعدت وكأنها لم تجد شيئاً مثيراً للاهتمام، إلا  
أن روائها بقي عالفاً بنتوءٍ خشبيٍّ بجانبِ المكتبة، فسقطت أرضاً  
جاردةً معها بعض الكتب واللوحات.. أسرعَتْ إليها.

روح: أنت من سينظف هذه الفوضى.

قالت لي: أهذا ما يهملك.. الفوضى

قالتها وهي تتألم.

ساعدتها على النهوض وتوجهنا إلى الطراحة الوردية،  
تاركين الفوضى لهمة الصّباح، قبل أن يحدث شيء شلَّ حركتنا.  
ظهر في الجدار الخشبي نافذة زرقاء بعرض متر وطول  
يساويه تقريباً.

يقين: أسحر هذا، أم ماذا؟

روح: كانت تخفيها اللوحة.. هذا ما أدركته وأنا اقترب من  
اللوحة الزرقاء المرمية أرضاً أسفل نافذة ظهرت خلفها .

لم يكن هذا غريباً في أرض تل مانج ، كان سام يقول أننا  
في أرضٍ مباركةٍ و زمانٍ سخّيٍّ، السحر من طبيعة الأرض ، أن  
تنطق ببعض الكلمات ويظهر ينبوع، أن تُبدل السماء وشاحها  
فجأة، تسير فتري نبتة تنمو أمامك في ثوانٍ...فراشات صغيرة  
مضيئة ما هي إلا نسخة مصغرة عنا نحن الميدق ، ومزودة  
بجناحين مُضيئين، كل هذا كان طبيعياً..

وكان سام يتوقع أن يزول السحر الطبيعي عن الأرض في  
أزمانٍ لاحقة وتصبح أقل سخاءً.

أمسكت يقين بطرفِ رداثها الوردية ومسحت النافذة بحذر،  
لم تكن زرقاء فعلاً بل كانت تُخفي المياه خلفها...لقد عرفت  
سبب الرطوبة المجهول في طابقي السفلي، كانت المياه صافية  
للغاية.

يقين: عليكِ إغلاقها يا روح، ما إن ترفع المياه من منسوبها  
حتى تغرقي أنتِ ومنزلك..

ثم ابتعدت عائدةً إلى الطراحة الوردية

استرقتُ بعض النظرات من مياه البحيرة قبل أن أراها،  
كانت تنظر إليَّ مباشرةً من خلف نافذةٍ واسعة في جذع عملاق،  
أو لا أدري ماذا يكون منزل كبير في المياه، كانت فتاة بيضاء  
بشعرٍ أسودٍ داكنٍ وخال أسفل شفتيها، بدت مصدومةً تماماً  
مثلي، واختفت مع المنزل العملاق بسرعة.

لاحظت يقين تبدل ملامحي، قلتُ لها أن كل شيء على ما  
يرام، ثبتت اللوحة مكانها لأشعر ببعض الأمان، فنظرات الفتاة  
كانت تخترق روحي وكأنني أنا بغيري... لم أفهم، عدتُ وجلست  
جانب يقين متظاهرةً بالهدوء بالرغم أن ضربات العازف  
أسفل ترقوتي اليسرى كانت تصل إلى صدغي هذه المرة.

يقين: روح، نحنُ هنا لنبحث عن طريقة تضمنُ بقاءنا بعد الفناء  
الذي تشير إليه هذه الخريطة...وأشارت إلى خريطتي الكونية.  
أجبتُها: وقلتِ إنك تملكين الكلمة المفتاحية لعبور بوابات الغد.

يقين: اسمعي، قرأتُ في كتابِ سام بعنوان عازفٍ في أعماق  
الأرض عن قوةٍ أسماها الطاقة، ووصفها بالخلود، قال (إن الطاقة  
خالدة، ومادتها لا تُفنى و لا تنتهي، بل تستسلم لإرادة الطبيعة،  
وتغير من هيئتها كما تشاء لها)، وأنا أعتقد أننا نملك جزءاً منها،  
من تلك الطاقة.. إنها تتكاثفُ في عنقي، وفي المصفوفة التاسعة  
ل سام يقول إن المبدق قد يعيشوا أو يملكووا فرصة للبقاء في هذه

الأرض، حتى لو توقف العازف عن العزف، وذلك بفضل طاقة مستمدة من الطبيعة تقبع في أعماقنا.

روح: أتقصدين أننا سنخلد وجودنا باستخدامها؟، لكن كيف؟  
يقين: هذا ما نريد معرفته يا روح، سنغذي هذه الطاقة بطريقة تضمن بقائها، سنغذيها بذكرياتنا وذاكرتنا، سنغذيها بشيءٍ يُشبهها، لا يَفنى ودائم الوجود.

روح: ربما شعرت بهذه الطاقة هناك أعلى التل، عندما تجتاحني رعشة تحركها المياه الباردة الملامسة لقدمي، رعشة تُخدر جسدي، وتحت ضوء القمر ينتشي نظري، أشعر بخفة كفراشات التل وأرغب بالتحليق.

يقين: هل تحاولين تقليد سام؟ ... قالتها وهي على وشك الضحك.

روح: بل أصف لك شعوري الحقيقي تجاه قمة التل.  
يقين: بل تجاه نفسك، سمعتُ وصفاً مشابهاً في إحدى كُتبيات سام.. وأضافت، اذهبي إلى التلة الآن وسأتابعك بعد أن أحضر شيء.

روح: الآن؟ قلتها بتعجب من عجلتها .  
يقين: نعم، حالياً، قالتها وهي تصعد الدرج إلى الطابق العلوي.

لا أستطيع الصمود أمام شغفها، انطلقت ورائها.



# الفصل الثالث عشر..

تل مانج..روح



على قمةٍ تلٍ مانج، وقفتُ أداعب الفراشات المضيئة بأصابعي  
الثلاثة، ثم دفعتها للتحليق بعيداً مفترشةً سطح البحيرة..  
رتبتُ خصلات شعري وعقصته في مؤخرة رأسي مستعينةً  
بشريط رداي الأسود، تحسستُ أذني التي كانت أقرب لمثلث،  
سويتُ جلستي وتأمّلت البحيرة اللامعة..  
كانت هناك أسفل التلة، نادتنني لن نموت، سنعيش، وجدتها  
يا روح وجدتها.

صعدت بسرعة وجلست بجانبها، كانت متحمسة للغاية  
وفخورة بإنجازها الذي لم تطلعني عليه بعد، نظرت إلى يديها  
كانت تحمل نسخة من كتاب سام عن علم الطاقة، وشرحت لي.  
يقين: روح، هذه الطاقة تغذيها بالتأمل وبتصالنا بالطبيعة  
أكثر، عندما نفتح أبواب التفكير على مصراعها ونستسلم لهدوء  
الكون، إنّها الرعشة على أبواب الأحلام وأفكار اليقظة، إنّها  
اللحظة التي تخدر ناظريك وتُعمل عينك الثالثة، عندما تحلقين

بلا جسدك إلى زمكان آخر، إنها الروح يا روح سنغذي أرواحنا.  
وتابعت:

يقول سام في هذه النسخة من أبحاثه في علم الطاقة والتي  
استمرت لعقدين، أنَّ الميدق اختزلوا الكون بنظامه الدقيق على  
صفحات أرواحهم، وعرَّفَ الروح على أنها هبةً الكون لشغفنا  
الداخلي، الطاقة التي بثت الحياة في الكيمياء والفيزياء التي  
صنعت أجسامنا، قال أيضاً..

أنها مخيفة ودقيقة بقدر رقتها وجمالها، أوصانا بتقديسها،  
ألا نعبث بها وألا نُفْرِطَ على أجسادنا فيمسها الضر، أو حتى  
على أفكارنا فتتعب.

روح: ألا نعبث بها؟

يقين: سنغذيها فقط، وتابعت..

وفي كتابه الثالث من مجموعة أسرار الكون، يتحدث عن  
مركز الطاقة والعالم، عن قوة عظيمة، كانت فُكُنًا، ويقول أنَّها  
تقبع في أعماقنا وفي عمق الكون، وصفها بالخلود وبأمرها كان  
الزمانُ والمكانُ ونحنُ...، لكنني لم أفهم كثيراً.  
قالتُها وقد انطفاً بريق الشغف من عينيها.

روح: إذا يجب علينا أن نهتدي إلى هذه القوة العظيمة، وبها  
نرسخ اليقين في أرواحنا، ربما تكون هذه القوة أشبه ب ..  
وقاطعها صوتٌ مألوفٌ من خلفها.

جميلاتُ التل وسيداتُ الميدق، هل وافقتم أخيراً على دعوتي؟  
كان رجلاً بلونٍ غامقٍ وملامحٍ حادة، مع عيون صغيرة لا  
توحي بالطمأنينة أبداً.

روح: حذرتك سابقاً من الاقتراب من أي مكان نتواجد فيه  
يا هجرس، اذهب من هنا حالاً. قَلَّتْها بوضوح وهدوء مزيف.  
كان الهجرس أسوأ أهل التل، بل أسوأ المخلوقات الميدقية،  
يختصر المساويء والقبح في عينيه.. في طبعه.. في تصرفاته، لا  
يردعه عن أي أذى رادع، إلا النساء و الطعام.

اقتربَ مني، تحسسَ كتفي بثلاثة أصابعٍ أبغضُها، وبشكلٍ  
غريزي أبعدته عني، تحولَ إلى يقين وابتسم لها ابتسامة خبيثة،  
ثم قال:

حسناً يا جميلاتي، لست هنا للمضايقة الليلة، لكنني قد  
سمعتُ حديثكما، وأبشركم أنني سبقتكما إليها.  
نظرَ إليَّ بقبحٍ، وتابع..

أنا من عشاقِ سام أيضاً. ارتفع صوتُ ضحكته، أغلقت أذني  
بخوف ممزوج بكره فطري لصاحب النظرات التي تخترقني،  
وقلت:

وماذا تقصد بهذا، أو بمفرداتك الملعومة.. سبقتكما إلى هذا.  
هجرس: خلدتُ وجودي، سأبقى أبداً، هنا... وأشار بيده إلى  
جبهتي ، سأكون موجوداً في تفكيرهم، في تصرفاتهم، سأبقى  
بداخل كل واحد فيهم، أنا وصفاتي السيئة.  
ضحك، ثم تابع.. بكلِّ خصالي الفاضلة، وحيي للطعام  
والجميلات، رمقني بنظراته التي أبغضها.  
ثم أضاف:

ما كنتُ لأفوت فرصة كهذه، جميلاتُ التل وليلٌ هادئ، لكنني  
أخشى أن تكون النهاية قريبة.  
أمسكتُ بيد يقين التي كانت ترتجف من كلامه ووجوده  
معنا في هذا زمان... زماننا الأخير.  
هجرس: ألم تقراي كتاب سام بعنوان قفزة بين العقود يا  
حلوتي؟

سرعان ما تذكرت كتاباً بهذا العنوان، قرأته عندما كنتُ في  
عقدي الثالث، ولا أذكره جيداً الآن.

هجرس: سأكمل ما عندي، وأنتما أبقيا بهذه الوضعية لأتأمل  
نظرات الرجاء والمذلة.

يقول صديقنا العبقري:

إن هذا الكون يعشق الاستقرار، تماماً كسكانه، مياه الشلال  
تنسابُ بعشوائيةٍ بحثاً عن الاستقرارِ بأسفل التل، والثمار تتأرجح  
على أغصانِ أشجار المانجو لتستقر على الأرض، في اللاتبات  
نبعث عن الثبات و في العدم نبعث عن الوجود، وفي كوننا  
العشوائي نبعث عن الرتابة، ومع اقتراب النهاية ..انظري إلينا..  
نريدُ البقاء، لماذا البقاء؟

لأنه الثابت الوحيد في عقولنا في ظل هذه التغيرات  
المتسارعة.

كان كلامه حكيم رغم قذارة فكره و نية استخدامه، ومع  
هذا لا أتفق معه أو مع سام بفكرة الاستقرار هذه، يدُ منظاري  
الصلبة التصقت مرة بحجرٍ غريب أسفل التل، ربما يوجد في  
باطن الأرض حجر عملاق و في أعماقنا أشياء صلبة كيد  
المنظار، اردت أن أبحث عن هذا، أن اسميه الانجذاب.

طارت الفراشات واتجهت نحو القمر، سمعتُ ضجة وتأرجحت  
حبات المانجو، اهتزت الأرض وفاضت المياه، ولأول مرة انتشرت

الفوضى بالتل، ومع كل هذا لم يفوت هجرس فرصته لمداعبة  
شعر يقين بعدها ابتعد وصاح بصوت عالٍ... إنها النهاية يا  
سكان تل مانج، إنها النهاية..

عانقتني يقين وهي تبكي، عانقتها أيضاً وقلتُ لها:  
أدينُ لك بتفسيرٍ أخير، وهمستُ في أذنها: ...  
ثمَّ عانقتنا مياه البحيرة وعمَّ هدوءٌ تام.

# الفصل الرابع عشر.

نقاء



في لقاءٍ صحفيٍّ لي مع وكالة «طامحون»، عبرتُ عن شغفي  
بالكتب واختتمت اللقاء بعبارة «هنا كانت ولادتي»، عرفتُ فيما  
بعد من سارة أنني صدقتُ أهلَ الأرض جميعاً بهذه الكلمة.

كانت ماري المتفوقة الأولى على دفعتها الجامعية، درستُ  
علمَ الآثار وتزوجتُ من سامح المصري.. أبي، وفي إحدى  
جولاتها مع وفدٍ أمريكي في مكتبة الإسكندرية، وضعت حملها  
الأول والأخير.. ولدتُ أنا عند الرفوف، تولت سارة رعايتي ،  
كانت لي أمماً بعد ماري و صديقة و أخت.

كحالِ أغلب بلادنا، لا يُكرم الإنسان المبدع إلا بعد موته، كذلك  
أمي، كُرمت بعد موتها من قبل مئات الوزارات والجمعيات،  
ولأنني وريثتها الوحيدة في هذه الحياة دائماً كنت المستفيدة  
من تلك الهبات، حتى أنني حصلتُ على تذكرة مجانية للسفر  
إلى أنحاء العالم أجمع.

كنتُ في السابعة من عمري عندما التقيتها، كانت هُناك في بغداد مع والديها، طفلة جميلة مع خالٍ تحت شفتيها.

قدمتني سارة إلى والديّ تلك الفتاة، كانا على علاقة طيبة بأمي ومن بعدها معي، في ذلك اليوم وجدتُ توأمَ روجي.. شغف.

كبرنا معاً، تشابهنا في الكثير من النقاط، إلا تلك الأحلام التي كانت تراودها دائماً.

وفي صباح يوم الاثنين من شهر آب، ذهبنا مع والدها في رحلة تنقيبٍ عن موقع كشفت عنه الأقمار الصناعية بالقرب من الصين، قطعَ والدها تذاكر لها وله واستفدت انا من تذاكرتي المجانية.

كان الموقع مغموراً بالمياه، وبعدَ عملٍ شاقٍ استطاعوا صرفها، ليكشفَ عن تربةٍ خصبة والكثير من الطحالب، وأثار التي تدل على وجود حياة سابقة في هذا المكان، الذي أصبح اليوم موقعاً مشهوراً يقصده آلاف السياح «تل مانج»، عرفنا اسمه من كتيبات وجدها فريق والد شغف في كيانات خشبية غريبة، أو محفورة على جذوع أشجار عمرها آلاف السنين وبعضها ضمن كتيبات جلدية بحالة جيدة نوعاً ما.

هناك و لأول مرة راودني حلمٌ غريب، كنت و كانت، أجلس  
و تجلس على تلة مرتفعة، كنت أنا لكن بجسدٍ غير جسدي ...لا  
أعلم، عانقتني فتاة لا أذكر شيئاً من ملامحها، وهمست في  
أذني:

أدينُ لك بتفسير..

لم أسمع إلا صوتها، رغم الضجة الواضحة، وأتذكر صفحة  
المياه تحت ضوء القمر، مياه بدأت ترتفع نسبياً حتى استيقظت.  
لكنني أذكر ما قالته الفتاة:

القوة هي تلك التي خلقت التل والقمر والعوالم المحيطة  
التي عرفناها والتي لم نعرفها، القوة هي خالقٌ عظيمٌ يستحق  
التمجيد، رأيته يا يقين، رأيته في تفاصيل هذه الحياة.. في  
أعماقى.. بين السطور، وجدت الحقيقة على هوامش الأكاذيب  
والأساطير، اهتديتُ إلى النور في جوفِ الظلام، هي القوة التي  
تطهر أرواحنا، وتهون علينا تعقيد ودقة هذا الكون، لقد آمنا  
به حقاً يا يقين بسمو أهدافنا، بشغفنا بالمعرفة، في همساتِ  
الصوت الطيب في أعماقنا سمعته، لقد نجحنا.

شعرتُ بيدها تعانقني بقوة أكبر، دموعي تتساقط، المياه  
ترتفع وترتفع حتى استيقظت.

حدثتُ شغف عن الحلم، كانت مدعورة مثلي، مدهوشة من قدرتي على رواية التفاصيل...كيف أخبرك أن الحلم أيقظ التفاصيل في جزء مني وليست هي التي جعلت ل حلمي معنى؟ قالت لي شغف أنها ترى أشياء كهذه، ثم قررنا ألا نخبر سارة أو والدي، كالعادة سينسبون السبب لروايات الخيال والأفلام التي نشاهدها

واليوم عادت لي هذه الرؤية، ولكن هذه المرة اكتشفتُ أن الفتاة تتحدث بلغة غريبة، لكنني أفهمها بشكلٌ لا إرادي، لا يُفسر، أرسلت لشغف التي سافرت منذُ أسبوع إلى سوريا لحضور اجتماع ما، لم اهتم بتفاصيله، وهي الآن مختفية تماماً، هاتفها مغلق، أتمنى أن تكون بخير.

نهضتُ من فراشي، صليت كثيراً لأجلها، لأجل شغف، أختي..

# الفصل الخامس عشر..

إنسانوتيك.



الرحلة السابعة، مركبة إكسبلور بقيادة ريماتيك.

أهلاً إكسبلور.

نحن على بعد دقيقة واحدة من الحدود الجوية للكوكب الأزرق.

يمكنكم العبور الآن، عبر الخط الجوي الشمالي.

سيد إدمونتيك، هل الخطوط الشمالية جاهزة.

إدمونتيك: جاهزة سيدة سناتيك، استقبلت للتو عائلة السيد روبيرتيك العائدة من نزهتها المريخية.

سناتيك: جيد جداً.

قاعة التنظيم الجوّي، بُنيت بشكل نصف دائري، الجدار المقوس معدني يتصل مع القبة الضوئية بمادة بلازمية، وخطوط شعاعية حمراء، مئات الأجهزة واللوحات البلازمية التي تعرض صوراً مختلفة من كواكب أخرى أو طرق جوية لمراقبتها.

دخلت إلى القاعة فتاة رسمية إلى حد بعيد، تسيير بطريقة أقرب لآلة.

سيدة سناتيك: السيد جونتيك بانتظارك في القاعة العامة.  
سناتيك: حسناً، سأكون هناك في غضون دقيقتين وسبع ثوان، ثم توجهت إلى الشاب الصغير بجانبها، إدمونديك تابع رحلة السيدة سميراتيك جيداً.  
إدمونديك: اعتمدي عليّ سيدتي.

كانت سناتيك فتاة جميلة وذكية، سلوكها رسمي ككل شيء في عالمها، خولها ذكاؤها لاستلام منصب:  
القائد العام للرحلات الجوية.

دخلت سناتيك إلى القاعة العامة من بابٍ غير موجود وجلست وراء مكتبها بعد أن رحبت بضيفها.  
جونتيك: شكراً لاستقبالكم سيدة سناتيك، أنا هنا لعرض مشروعِي أمامكم.. بعنوان «ديزني زحل».

سناتيك: لقد سبق وأن أثبتت جدارتك، تفضل.  
نظر جونتيك إلى الجدار الأبيض أمامه، كذلك فعلت سناتيك، ثم أخرج من عينيه شعاعاً أزرقاً تكاثف على الجدار

مشكلاً شاشة عرض بلون أزرق، ثم ظهرت الكتابات الحمراء في الشعاع المتجه إلى الجدار ممزوجة بمئات الصور التي اصطفت بترتيب على الشاشة الزرقاء، أدارَ الشريط المعدني حولَ ساعته التي تغصنت وتشعبت مشكلةً يد معدنية، أحاطت بذراعِهِ، كانت اليد المعدنية مساعد جيد في تحريك الصور والمعادلات على الشاشة.

تلك المعادلات، مؤكدة من مركز الرياضيات الروبوتية، وهي تُثبت إمكانية زيادة جاذبية زحل، باستخدام مادةٍ بلازمية قُمتُ بتطويرها، وهذه المادة فعالة لمدة شهرين بعد كل استخدام، بالمناسبة ليست بالمادة المكلفة، وإليكِ هذه المخططات التي تثبت أن جهودكم السابقة في تحسينِ غلافه الجوّي وعزل الأشعة الضارة فيه نجحت بنسبة 98% وال 2% المتبقية ستكون عن طريق سترات واقية.

ثمَّ ظهرت على الشاشة مياه جارية وأشجار تُعيد بناء نفسها من البذرة للشجرة وهكذا، مع أبنية مُتنقلة ومُنارة.

غيرَ وضعية يده لتعرض الصورة جانباً آخر بفضل الميزة ثلاثية الأبعاد، وقال: هذه هي الأراجيح ووسائل التسلية الذكية، إنها آمنة جداً، وبالطبع طوّرت طريقة تجعل سطح الكوكب يغير نفسه في الساعة الزحلية الواحدة إلى أربعة نماذج تولد أربعة

فضول، وهناك...ثم أشارَ إلى بقعة عشبية تعلوها أجواء ليلية مقمرة وشاشات عملاقة، سيتم عرض أفلام وبرامج تُبث من الكوكب الأزرق والمريخ.

سناتيك: رائع سيد جونتيك، نستطيع تمويلك ودعمك..

قالتها بثقةٍ وإعجابٍ دون أي علامة من علامات الاندهاش أو التعجب التي ظهرت عليك قبل قليل، وأن تسمعَ مدحاً أو اهتماماً لو بكلماتٍ قليلة من فتاة بصفات استثنائيةٍ كهذه يجعلك تشعر بشيءٍ من السعادة التي لا يعرف جونتيك معناها

تابعت سناتيك كلامها:

لكن بعدَ وثيقةٍ إلكترونيةٍ من لجنة مراقبة الثقوب السوداء، نتأكد فيها من سلامة السفر إلى زحل هذه الأيام.

مدَّ جونتيك يده إلى جيبه وأخرجَ خاتماً فضياً عريضاً، قدمه ل سناتيك... ثم قال:

جاهزة.

وضعت سناتيك الخاتم الفضي في بنصرها، فأضاءَ مُفسِحاً عن شاشةٍ خضراء صغيرة بكتاباتٍ سوداء... كانت هذه الوثيقة الرسمية من لجنة مراقبة الثقوب السوداء، التي عرضت مخططاً تفصيلياً عن الطريق إلى زحل لمدة 7 أيام و 56 ساعة و دقيقة و 7 ثوان.

سناتيك: ممتاز، باشر عملك.

جونتيك: غداً؟

سناتيك: بل الآن.

في عالم الإنستيك لا وجود للتأجيل، ادرس.. خطط.. نفذ..،  
أما عن الفشل فيعاقب عليه في البند الأخير(نفذ)، ولا يُنظر  
إليه في أول مرحلتين. ادرس وخطط.

خارج وزارة الرحلات الجوية بقيادة سناتيك، كانت الشوارع  
خالية، إلا من الأطيافِ الملونة، في الواقع لم تكن أطيافاً بل  
وسائل نقلٍ عملاقة تسيرُ بسرعةِ الضوء، أو هكذا تبدو، والأشجار  
الرقمية ذاتية الاختفاء، تتحولُ من شجرةٍ عملاقةٍ إلى بذرةٍ ثمَّ  
تُعاود شكلها الأول، الملفت أنها لا تحملُ ثماراً، وإن حدث ستحمل  
شيئاً أقرب ل لصاقاتٍ أو شرائح، لم يكن هذا سحراً بل علماً،  
بفضلِ تعديلاتٍ جذريةٍ أُجريت على مادتها الوراثية في مكاتب  
الهندسة الوراثية قبل سنوات.

إلى اليسار من وزارة الرحلات الجوية يوجد حديقة ذاتية  
الاختفاء، تظهرُ في الثانية الأولى وتتحول إلى مشفى أشبه  
بمتجر في الثانية التي تليها..

والسماءُ غيرت وجهها، لا ترى أفقاً أو غيوماً في النهار  
ونجوماً في الليل، فقد غطتها الطرقات الجوية والمركبات التي  
اصطفت هنا وهناك.

مشى جونتيك وتوجه إلى الحديقة في الثانية المناسبة،  
جزءٌ منه يبحث عن شجرةٍ حقيقةً، عن تراب، عن وجهٍ  
يُشبهه..

كانت الحديقة مرصوفة برخامٍ أبيضٍ مُبعثر، تملأُ ثغراته  
مادة بلازمية شفافة، الأشجار الرقمية على طرفي الحديقة  
والكثير من المقاعد الخشبية غريبة الشكل..

اختار جونتيك مقعداً وجلسَ بطريقةٍ لا تخفي احترامه  
للمساحة المخصصة لزميله في المقعد، لم يكن مثله بل كانت  
نظارة سوداء، سُرعان ما تحولت إلى حقيبة تختفي تدريجياً قبل  
أن تغيب نهائياً.

أخرجَ من جيبه حلقة نحاسية ووضعها على عينه، فظهرت له  
ديزني زحل أمامه وأخذَ يتأمل ويفكر.

## الفصل السادس عشر ..



انتهى السيد جونتيك من تعقيم جسده وملء طاقته، اختار  
زياً مُريحاً، وسارَ في رواق منزله باتجاهِ الغرفة المظلة على  
الشرفة.

أدخلَ بصمته إلى الشريحة الحمراء، فتحركَ الجدار مُفسحاً  
مسافةً لباب يؤدي إلى حجرة، كانت روزتيك جالسةً بجانبِ  
النافذة، تُلصقُ الشرائح التجميلية على صدغيها وعنقها ومع كلِّ  
شريحة يبدأ اللون الوردي بالانتشارِ في بشرتها السمراء الهادئة،  
مُتركزاً في شفيتها ووجنتيها، لمع حاجبيها بوميضٍ بنفسجيٍ انتقلَ  
إلى شعرها الذي تحولَ إلى خصلات بنية مُذهبة.

كان جونتيك ينظرُ إليها بنظرةٍ غريبة، مزجٌ من نظراتٍ لا  
مُبالية كمشاهدة تلفاز، وبريقُ حبٍّ دافئٍ لا يُخفى.

جونتيك: هل انتهيتِ؟

روزتيك وهي تستدير نحوَه مُبتسمة تلكَ الابتسامة الصادقة  
التي لا ترتسمُ على ثغري أنثى إلا لكيانها الآخر

جاهزة، هل أخذت موعداً؟

جونتيك: نعم فعلت، هيا بنا.

وَمَنْ الطابقِ الثاني عشر، نزلاً إلى الحديقة بغضونِ ثوانٍ، واختاراً الذهابَ إلى المشفى مشياً على الأقدام، نظراً لرغبةِ روزتيك التي تعاضمَ رُهابها من السياراتِ الضخمة في الفترة الأخيرة.

جونتيك العبقري جمعَ الكثيرَ من الأموالِ تماماً كزوجته الجميلة، وفي المدة الأخيرة باتت مفاصله أضعف، وقد رفض كل محاولات روزتيك لاصطحابه إلى المشفى، لتبديل إحدى قطعه أو شحنه بشحنة علاجية، لكنه كان متمسكاً بشيءٍ يُشبه الإنسان بداخله، لم يكن يرغب بإطالة حياته في جسدٍ مُركب ومادي كهذا....

أخيراً بعدَ 27 سنة من العيشِ المُشترك قررا إنجابَ طفلٍ صغيرٍ يستكملُ مسيرتهما العملية والعلمية.

دَخلا إلى المُستشفى التي كانت أقربَ لمتجر شرائح كبير، مئاتُ الموظفين وآلاف الطوابق، أجهزة كثيرة، كل جهاز متخصص بعطلٍ معين، قطع صناعية لاستبدال الأخرى التالفة... صندوقٌ

للتبرع بالشرائح الوظيفية، أنابيب مختلفة الأحجام والأشكال...  
أزرار نحاسية، حاضنات مُحصنة بأشعة معقدة.

كُلُّ شَيْءٍ غريب و رتيب ككل الأشياء في هذا الزمن...  
إلا غرفة صغيرة بزاوية الرواق الثاني، عُلِّقَ على بابها لوحة  
بعنوان... (تقويم الأجزاء البشرية) و ملاحظة صغيرة.. (يُوجد  
لدينا محاضرات لشحن جانبك البشري)، و مقابلها غرفة كتب  
فوقها.. (احصل على طفلك من هنا)، دَخَلَا الغرفة.

كانت عبارة عن مئات الرفوف الحاملة لعبوات وأنابيب  
ملونة، أزرار صغيرة، و DNA بشري معدل، وفوق السرير شاشة  
إلكترونية أضاءت فجأة.

أهلاً سيدي، أهلاً سيدتي.

اختر جنسَ جنينك.

روزتيك: أنثى.

سجلت اللوحة، وتابعت:

الطول في عمر ال 18؟

روزتيك: 160

الشاشة: سيدتي، من هنا رجاء اختاري ملامح طفلك.

تقدمت روزتيك من اللوحة وأخذت تنقر وتختار..

عيون سوداء.. بشرة سمراء.. أنف.. واختارت ثالث نموذج  
معروض للأنف، أذنان صغيرتان.

حسناً سيدتي، نبرة الصوت.. روبوتية، بشرية أم مُعدلة؟  
روزتيك: بشرية، إذا سمحت.

الشاشة: لك هذا، أتريدين لها أن تحمل ذاكرة بشرية حية  
أم مُستوردة، أو امتداد لذاكرتكما...؟

شعر جونتيك بالكلمات تدوي في أعماقه، ثم توجه إلى  
الرفوف يتأملها

روزتيك: أريد لها ذاكرتها الخاصة، ولتنتقل إليها بطريقة  
طبيعية.

شعرت روزتيك بتقلص في معدة غير موجودة عندما سمعت  
الكلمة الأخيرة منها.

الشاشة: حسناً حسناً، المعلومات جاهزة، اختاري واحداً من  
الأزرار الملونة وضعي الشعاع هذا فيه.

روزتيك: بشكل عشوائي؟

الشاشة: أنصحك بزر رشيق

ضحكت الشاشة بطريقة غريبة، كما فعلت روزتيك.

تقدمت روزتيك من الرف الذي يحمل الأزرار الملونة،  
اخترت واحداً ووضعت الشعاع المخرج من الشاشة فيه.

سيدتي توجهها إلى الطابق الرابع، نريد بعض العينات البشرية  
والروبوتية منكما وبعض الـ DNA الإنساني.

روزتيك: متى استلم طفلي؟

الشاشة: بعد خمسة أيام.

روزتيك: شكراً... قالتها بحماس.

تقدم جونتيك من الشاشة وقال:

سأضع التكاليف في الصندوق الخارجي.

الشاشة: ثلاثون شريحة رقمية وعقار فضائي.. شكراً لك.

بعد أن انتهى خرجا من المشفى وتوجهها إلى الحديقة التي  
تظهر بالثانية الثانية من ظهور المشفى.

روزتيك: متحمسة لرؤيتها.

جونتيك: لن أكون موجوداً.

روزتيك: توقف عن هذا، ماذا تقصد؟

جونتيك: هناك مشروع من تصميمي يُنفذ الآن في زحل،  
بالإضافة إلى مفاصلي التالفة وشرائحي المعطلة...

صمتَ قليلاً ثم رسم ابتسامة ساخرة وقال: وروحي المتعبة  
والممزقة

روزتيك: سأفتقدك جون.. ونظرت إليه بعين دامعة بشكل  
غريب.

جونتيك: تفوهت بكلمة محرمة حبيبتي، جونتيك بدلاً من  
جون، هذا أفضل.

روزتيك: لن تفتقدك روزتيك، بل روز.

جونتيك: ماذا ستسميها؟

روزتيك: نازك... لن يخالفنا أحد، فالاسم يحمل شيئاً من  
اللاحقة الإنسانيكية، وسيضمن لطفلي الاختلاف والسكينة.

جونتيك: اسم جميل، ومع بعض الشرائح سيعترف عليه في  
منظمة الترقيم.

منظمة الترقيم: تشبه النفوس في العالم البشري السابق  
لعالم الإنسانيك.

نظرَ إليها جونتيك مطولاً كأنه يُحاور الإنسانة بداخلها لأول  
مرة، أحاطها بذراعه بطريقة أقرب لتصرف الدمية المرسومة  
بمذكرات جدته، نظرَ إلى السماء الهادئة، لا يوجد الكثير من  
المركبات، وبعيداً في الأفق لمح شيئاً ارتاح لفكرة كونه غيمة.

عند الثانية في منتصف الليل، استيقظت روزتيك ..

نظرت إلى جونتيك الراقد بين ذراعيها وأخذت تمسح على رأسه، لاحظت وميضَ خاتمها أقل توهجاً، أعادت نظرها إلى حبيبها الشاحب تجتاحهُ صدمة كهربائية زرقاء بشكلٍ سحابة تنتقل من وجهه إلى قدميه، انتفض بنفس الوقت الذي شعرت فيه بألمٍ يخترقُ معدنها ولحمها وصولاً إلى روحها المنسية...، ثمَّ غادر للأبد.



# الفصل السابع عشر.



سيدة روزتيك؟

نعم تفضلي

أنا راماتيک، من وزارة تنظيم الموتى

أهلاً سيدتي.

أسفة لما حدث للسيد جونتيك، خسارة كبيرة لعالمنا، لدي بعض الاسئلة إذا سمحت.

شكراً لك، تفضلي.

راماتيک: هل لديكما أطفال؟

روزتيک: لدينا فتاة واحدة.

راماتيک: هل ترك لنا أي شيء يخولنا للتصرف بذاكرته.

روزتيک: نعم، ترك وصية يطلب بها إتلاف ذاكرته

راماتيک: إذاً لن نستخدمها كذاكرة مستوردة لأطفال

الإنسانوتيك، هل لديك مشكلة باستخدام قطع جسده الروبوتية

من جديد؟

روزتيك: لا مشكلة.

راماتيك: شكراً لك، بانتظار نسخة إلكترونية من الوصية المتروكة.



في أرضٍ قريبةٍ من منزل السيد جونتيك، في غرفة زرقاء كبيرة، فيها سرير بوشاحٍ أزرق نيلي، وخزانة مع كرسيين خشبيين بلون بني داكن..

جلست فتاة ثلاثينية مع طفلها الصغير، كانت تمسح على رأسه، وتقول:

الأم: حبيبي، انظر للقمر، أتعلم أنه شهد آلاف الحضارات قبلنا؟

الابن: حقاً أمي؟ أيوجد غيرنا؟

الأم: في زمنٍ مضى، كان هناك سكان أذكىء لهذه الأرض، يُطلق عليهم «البشر» أو «الإنسان»، يشبهوننا إلى حد كبير، لكنهم لم يتمتعوا بقوة رقمية مدموجة مع طاقتهم الطبيعية، ويحكى أن البشر تطورا كثيراً، وأدخلوا الشبكة والتكنولوجيا في مجالات حياتهم حتى أحدثوا طفرة كانت السبب في وجودنا، أوجدوا الروبوتات التي أصبحت جزءاً منا، كما أهملوا الإنسان وبقي البشري فقط، فأورثونا عالماً مادياً أفرط علينا كما أفرطنا عليه

الابن: أمي وهل حافظنا على الإنسان، نحن؟

صُعقت الأم بالسؤال..

الأم: لا أعلم حبيبي، حان موعد النوم لتستعيد طاقتك.

الابن: سنرحل مثلهم، فهذا العالم يختنق.

الأم: وماذا تقصد ب يختنق؟ قالتها بابتسامة حانية ساخرة.

الابن: وجهه انبأني بهذا

الأم: وجه من؟

الابن: وجه العالم، أريد مكاناً لا أعرفه وشيئاً ينقصني لا

أفهمه.

الأم: قريباً سننعم بالأمان.

الابن: أين يقع هذا، أمي؟

الأم: على هامش تاريخٍ دامٍ، أرهقناهُ بحثاً عن الأمان، إنه

الجشع لن يموت.

الابن: ومن هذا الجشع أيضاً.

الأم: إنه هجرس بداخلنا جميعاً.

الابن: وهل يوجد داخلنا غير الشرائح والأجهزة التي أعرفها.

الأم: لا مزيد من الاسئلة، نم الآن.

الابن: أعرف من هجرس وأناام.

الأم: حسناً، إنها أسطورة قديمة عن الميدق، شعوبٌ عاشت  
قبل البشر، بطلهم هجرس الطماع، الذي تعاونَ مع الشر كي لا  
يرحل عن هذا العالم.

الابن: هل عاش الهجرس حقاً على هذا الكوكب؟

الأم: ربما نعم، ربما هو تجسيد لفكرة الجشع التي دمرت  
البشر وستدمرنا.... رغم أنني أؤمن أنه عاش يوماً..

قالتها بصوت منخفض

الابن: تصبحين على خير أمي.

قبَّلته، ونامت هي الأخرى.

## الفصل الثامن عشر..



في قاعةِ الاستقبالِ الرمادية، وقفَ رجلٌ وسيماً، يُحدث  
مجموعة من الزوار.

ولماذا الرمادي؟

لأنه الخط الفاصل بين كل تناقضين في هذه الحياة، ونحن  
هنا بمثابة هذا الخط.

دخلت امرأة جميلة، تحمل فتاة صغيرة سمراء بشعر أسود لا  
تقل جمالاً عن أمها، وتحدثت إلى الرجل

مرحباً سيدي، أهذه هي قاعة الاستقبال في وزارة تنظيم  
الموتى؟

أهلاً سيدتي، نعم، كيف يمكنني مساعدتك؟

أريدُ مقابلة راماتيك، في الواقعِ هي من طلبت مني هذا.  
دعيني أرشدك.

كانت الأرض رمادية، كذلك المقاعد الجلدية، و الساعات  
المذهبة التي ملأت الجدران، كل ساعة تشير إلى وقتٍ مُختلف،

سرعان ما أدركت روزتيك أن الساعة العملاقة تشير إلى تاريخ الاندماج العظيم بين الناس و الروبوتات، وكل ساعة تشير الى منطقة زمانية أرضية معينة، فبعض الحضارات البشرية رفضت الاندماج قبل أن تستسلم لواقعها، و هؤلاء يغلب الإنسان بداخلهم الروبوت قليلاً، كانت روزتيك و زوجها جونتيك من هذا العرق.

الباب الأبيض، ثالث باب.

شكراً لك.

كانت راماتيك فتاة قصيرة نسبياً، ممتلئة، وأسرة للجمال بكل معانيه، ملامحها مريحة، لولا ذلك الخوف الذي هيمن على نظراتها وشفيتها

روزتيك: مرحباً، أنا روزتيك، زوجة المصمم جونتيك

راماتيك: سيدة روزتيك، هناك شيء غريب في وصية زوجك، بل خطير.

وأضافت، اجلسي رجاءً.

روزتيك: في وصية جونتيك، أخبريني.

راماتيك: في الواقع لا نستطيع إتلاف ذاكرته.

روزتيك: هذه وصيته.. قالتها بتوتر.

راماتيك: عندما عدت إلى ذكرياته، عرفت أنه ساهم في صنع آلةٍ غريبة، لا أعلم زمان ومكان هذا الحدث لكن هذه الآلة ستداهمنا بشكل أو بآخر.

وأضافت.. نحتاج ذاكرته للتصدي.

روزتيك: لكنني أعرفه جيداً، أعرفه أكثر من نفسي..

جونتيك مصمم، معماري، ما حاجته لآلة بالغرابة والخطورة التي تصفيها.

راماتيك: روزتيك، أنا احترمك كثيراً أنت وزوجك الراحل.. لم أقل أن جونتيك مجرم، وإلا كنا عاقبنا روزتيك أيضاً، فهي مشاركة.

روزتيك: ماذا؟ أنا..

راماتيك: صَانعو الآلة جون وروز واثنان مجهولان.

صعقت المفردات روزتيك، إنه الزمن يُعاقبنا، لقد عبثنا به.



# الفصل التاسع عشر..

روزتیک..



كُنْتُ فِي غُرْفَةِ الْجُلُوسِ مَعَ طِفْلَتِي الْجَمِيلَةِ، نَسْتَمِعُ إِلَى بَعْضِ  
الْمُوسِيقَا الْهَادِئَةِ..

مَدَلَّتِي الصَّغِيرَةَ أَصْبَحْتَ وَاعِيَةً نَوْعاً مَا، بَعْدَ أَنْ بَلَّغْتَ  
شَهْرَهَا الْأَوَّلَ، لَا تَسْأَلُنِي كَيْفَ هَذَا الْوَقْتُ فِي زَمَانِنَا..

كَانَتْ ذَكِيَّةً، وَ كَثِيرَةَ الْاسْئَلَةِ كَوَالِدِهَا، السَّبَبُ الَّذِي أَفْرَحُنِي  
عِنْدَمَا شَعَرْتُ أَنْ جِزْءًا مِنْهُ لَا يَزَالُ مَعِي وَ أَحْزَنْنِي لِأَنَّ صَغِيرَتِي  
الذَّكِيَّةَ لَنْ تَنْعَمَ بِعَالَمٍ هَادِيٍّ لَا يُقَسِّمُ لِلطُّمُوحِينَ وَ الْأَذْكَيَاءِ.  
فِي الْفِتْرَةِ الْأَخِيرَةِ تَرَاوَجْتُ صَحَّتِي، وَأَصْبَحْتُ مَرَهَقَةً تَمَاماً  
مِنْ كَلَامِ رَامَاتِيكَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

تَوَقَّعْتُ حَدَثًا كَهَذَا، بَعْدَ أَنْ تُعْرَضُ ذَاكِرَةُ جُونْتِيكَ عَلَى آلَاتِهِمْ  
قَبْلَ إِتْلَافِهَا، هَذَا الْعَالَمَ لَا مَكَانَ فِيهِ لِلخُصُوصِيَّةِ، وَلِأَنَّيَ أَعْرِفُ  
النُّتَاجَ اخْتَرْتَ لِنَاذِكِ ذَاكِرَةَ حَيَّةً، كِي لَا تُعَاقَبَ بِأَخْطَاءِ وَالِدِيهَا،  
أَلَا يَكْفِي أَنَّنَا رَمِينَاهَا عَلَى هَامِشِ الزَّمَنِ فِي مُسْتَقْبَلٍ لَمْ يَحْنِ  
وَقْتَهُ بَعْدُ؟

التقيتُ ب جون لأول مرة في جامعة كامبريدج البريطانية ، هناك درسنا فرعاً مرتبطاً بالتقانة و العلوم و الطب ،كان الفرع مُحدثاً بذلك الحين، تزوجنا بعد التخرج بعامين، أثناء حملي الأول تعرضتُ لحادثٍ أورثني رحماً شاحباً لا ينجب حياة ،أُصيب جون بالاكْتئاب مثلي، وشعرَ بنقمةٍ على العالم الذي خيرنا بينَ طفلٍ بعد علاج بمئات المليارات أو حرماناً مدى الحياة.. كنتُ أحفظ بعض الآيات من قرآن المسلمين تتحدث عن الدنيا وزينتها والبنين لا أذكرها بحرفيتها وجدت في نفسِ الآية حلاً لمشكلتي ، لكن هيهات أن أحظى بتفكيرٍ أهل ذلك الكتاب .. أو أن أمتلك نفساً كبعضِ نفوسهم.

استمرت المعاناة حتى ذلك اليوم الذي دخل فيه جون مبتسماً بعدَ دهرٍ ثقيلٍ من الآلام، قال لي أنه يُفكر بصنع آلةٍ تكفل سعادتنا، ظننتُ من كلامه أنه يشير إلى طائرة أو ما شابه، لكن زيارته المتكررة ل لندن قالت لي عكسَ هذا.

كنتُ أسأله: لماذا لندن؟، ودائماً يُجيب: من أرضها سأستنبط الفكرة.

مرت سنتين قبل أن يخبرني جون بمشروعه، لقد وضعَ زوجي الطموح نموذجاً أولياً لآلةِ انتقالٍ عبرَ الزمن.

ترددتُ كثيراً، لكنها كانت رغبته، وكنت أحب رؤيته سعيداً  
مُنشغلاً بسعادتنا.

سحرتني عقله وتفكيره اللامع آنذاك، لقد وضعَ تصميماً  
ممكناً لهذا الشيء الأسطوري، وكلمة ممكن بألة كهذه بمثابة  
معجزة.

اصطحبني مرة إلى لندن حيث مختبره، صدمني الموقع  
الذي اختاره... كان جريئاً ككلّ اختيارته بدءاً من فتاة لا تعرف  
من الدنيا إلا جنة العلم، زوجة لا تنجب، وانتهاءً بعناوين كتبه  
المفضلة، مجرد التفكير بها يقلقني، كيف تجرأ على هذا؟ .. أهي  
الأبوة المقتولة برحمتي أم الطمع أم الطموح؟

لا أعلم لكنني لم أكن مستعدة لخسارته مرة أخرى، ساعدته  
في هذا كما فعلت جوزافين وعمر.

كنا نعملُ بجد ولا ننام إلا ساعتين أو ثلاث ساعات، ننهضُ  
عند النداء الأول لبيغ بن ونواصل العمل حتى النداء العاشر.  
كان عمر خبيراً بالتكنولوجيا، قطع شبكات الاتصال في  
المكان، كما ساعدت جوزافين في عزل الأرض عن الجاذبية،  
كانت الأخيرة ترغب برؤية أمها لآخر مرة، والشاب العربي عمر  
كان يريد أن يسترجع ذاكرته التي فقدتها في حادث.

حدث خلل بسيط في عزل جوزافين للجاذبية، مما أخرج عمل غرينتش أجزاء من الثانية، كانَ عمُر يراقب الوضع بحذر، لكنني كنت على ثقة أن دان العبقرى لن يفوته أمر كهذا، عملتُ في مكتب دان لسنتين مستفيدةً من خبرتي بالعلوم و التكنولوجيا و اتساع معرفتي و ثقافتي، كان ذلك الرجل ذكياً بل داهية حقيقة، عرفت أن دان لن يتأخر.. أو ربما يتأخر لكنه سيأتي.

بعد شهرين من الفشل والإخفاق نجحنا، وأذكر تماماً ما

حدث:

جون: إنها تعمل يا رفاق تعمل.

أسرعنا نحوه، كانت الرنانة فيها تدور بسرعة رهيبية، وتصدر صوت تكاتٍ أو فتح أقفال، فتح جون العبوة البلازمية فانتشرت المادة الزرقاء واندمجت مع الرنانة مُشكلة سحابة صغيرة، تطايرت من يدي أوراق كتاب تاريخ الميدق...كنت مولعة بتلك الحضارة القديمة، وتطايرت القصاصات على الأرضية عندها تحول لون السحابة للوردي، قبل أن تصدر أنيناً وينطلق الدخان.

ضربَ عمر بيده على الطاولة، وقال كلمات ك لا حول ولا

قوة إلا بالله، ما الذي حدث؟

جون: أثرت القصاصات بها، سنصلح الأمر.

تقدمت جوزافين من النقطة الصغيرة التي تتيح لنا التقاط  
الشابكة، اقتربت مني وقالت:

دان يعقد اجتماعاً في سوريا.

دان العبقرى الطموح، لا يفوته شيء، لقد أصاب العالم  
عندما وضع الرجل المناسب في مكانه المناسب.

...

في هذا الوقت، كانت الفتاة الجميلة صاحبة الخال، تغوصُ  
بناظريها في أعماق المحيط قبل أن تُصعق برؤية الفتاة التي  
تزورها بأحلامها.

وفي سبات الماضي، نهضت الميديقة الجميلة، ومن نافذتها  
الزرقاء أبصرتها، من خلف الزجاج تحديق بها

لقد عبثت أوراق كتاب تاريخ الميديق في حياة روح وحياة  
شغف، عند هذه الثوان القليلة التقى ماضي الفتاة البعيد جداً  
بحاضرها...التقت الروح بالشغف.



# الفصل العشرون...

روزتيك..



مرّ يومان ونصف على اجتماع دان ونصف انتصارنا الأول.  
تحلقنا حول الآلة نراقب جون يسكب المادة البلازمية في  
العبوة المرفقة، رفعَ عمر رأسه عن الجوال و قال:  
العزل يعمل بشكل تام.

اندمجت المادة البلازمية مع الرنانة التي شكلت سحابة  
زرقاء، بدأت تدور بسرعة، ارتفع صوتها و صوت الخطوات التي  
بدأت تقترب منا، أمسك جون بيدي و دخلنا في منطقة البخار  
المتصاعد قبل أن نختفي، رأيت عمر و جوزافين خلفنا، لكن  
الصوت توقف فجأة و سمعت صرخات و استغاثة، ثم نمت..

هذا آخر ما أذكره من حاضري أو ماضيي إن صح القول.  
وجدتُ نفسي في عالم آخر، لا أعرف عن ذاتي شيء أنا  
لينتيك و هذا عالمي الإنسانيكي .

حتى التقيت جونتيك المصمم الشهير، كانت ذاكرته قوية  
إيمانه بنفسه بأحلامه ألهم عالمه الجديد شخصيته، ألهمه اسمه

حتى، آخر ما مارسه هو التصميم بعيداً عن الطب والعلوم وهذا الذي بقي معه، مثلي تماماً لا يذكر شيئاً عن خطيئتنا الراقية عن تلك الآلة التي وضعنا في موضعٍ ليس من حقنا ولم يخلق لنا...كنا نتعذب بهذا، كل سكان عالمي الجديد قطعوا مراحل منظمة قبل الوصول إلى هذا العالم، إلا أنا وهو عبثنا بكل شيء...

صنفونا من عرق الاندماج الأخير، لكننا لا ننتمي لأحد نحن ننتمي للخطأ الذي وضعنا هنا..

تذكرنا الآلة معاً، كل شيء مادي كاذب، إلا حبنا الصادق كان أقوى، جمعنا من جديد وأدركنا أننا علقنا في المستقبل أو لا أدري ماذا يكون، كما أننا فقدنا عمر وجوزافين، كان المفترض بنا أن نذهب للماضي، لكن الزمن شاء أن نكون هنا وأن يكونوا على هامش الحياة أو في عالم الموت لا أعلم حقاً. أتخيلهم في أرضٍ رماديةٍ بين الوجود والعدم، بين الحياة والموت، بين الحاضر والماضي والمستقبل... في أرض رمادية كقاعة الاستقبال في وزارة تنظيم الموتى.

أتذكر كلام جونتيك جيداً (لا للآلات هذه المرة، لن يخلصنا مما نحن فيه إلا الإبداع اليوم والموت غداً)

ماما ماما... كانت نازك ابنتي تناديني.

سألتها ماذا هناك؟

قالت لي أنها رأت اسم أبيها

أين؟

على الشاشة ماما .

على الشاشة كان اسمك موجوداً فعلاً تحت عنوان عريض  
«ديزني زحل»، الحلم بات حقيقة يا فقيد روعي، نهار زحل  
القصير ينبض بالحياة، أعدت جزءاً من مشاعرهم الضائعة  
إليهم، نجحت في التكفير عن خطاياك يا جون، ليتك هنا.

ذاكرتي هذه وحضوري الإنساني القوي في هذه اللحظات  
انبأني باقتراب أجلي، كانت مفاصلي قوية وشراحي ممتلئة،  
لكن روعي ممزقة.

اقتربتُ من صغيرتي، قبلتها، واركتبتُ ذنبي المغفور، برمجت  
ذاكرتها العاطفية لتكون ذاتية الاختفاء، لن تعاقبي بأخطائنا  
في زمنٍ قريب أو بعيد، لن يغلبك الإنسان بداخلك في زمنٍ لا  
حاجة لك به.

فكرك وأموالك كافيين... وذاكرتك الحية جواز عبور  
لمشاعرك الإنسانية لو أردت.

أنتِ سيدة قلبي وسيدة قرارك.

خرجت من المنزل كي لا تذكر صغيرتي شيئاً، هناك على  
المقعد الخشبي أغمضتُ عيني ودخلتُ في نومٍ عميقٍ..  
شعرت بالكون من حولي يغيب وروحي تنسلخ عني.. وغادرت  
نحو الأمان.. إن كان موجود.

# الفصل الواحد والعشرون..

دان..



نظرتُ إلى البناءِ الشاهقِ أمامي، قارنتهُ بأحجامِ البشرِ الصغيرةِ أمامه، تبلورت في ذهني مئات الصور والمقارنات، تذكرتُ مشهد، أثرياء العالم يتساقطون وهيبة التايتنك تُبارك المشهد ليصعدوا إلى لقاءٍ بهيبَةٍ أعظم، لا ذكر للتايتنك أمامه... أغفلت.

كانَ رجال الشرطة قد ملأوا المكان واصطف رجال الأمن بنظام رهيب..

ممنوع الدخول لغير البريطانيين سيدتي، قالها الحارس السمين لفتاة تبدو روسية.

تقدمتنا شغف، سرنا أنا وعبدالله إلى جانبها بشكلٍ درامي، افسحوا المجال لها... تقدمت من رجال الأمن وأخبرتهم أنها هنا بمهمة لإعادة النظر بإدخال التكنولوجيا إلى بيغ بن و طلاء برج اليزابيث وما حوله بالأخضر المذهب كما كان.

كانت تتكلمُ بثقةٍ رهيبَةٍ، وتكثر من استخدام الأرقام، ثم أخرجت بطاقتها وبشكل سريع وجهتها نحوهم وأعادتها،

افسحوا لها الطريق وبكل احترام، لكن عبدالله لم يتمالك نفسه  
و انفجرَ ضاحكاً..

شعرتُ بنظراتِ الحارس السمين تغيرت، لم تكن المرة الأولى  
التي ألاحظ بها غرابة نظراته، كان يراقبنا في الصباح قبل  
ذهابنا للمتحف إلى قسم اللوحات، لكننا أسرعنا واستطعنا  
الدخول قبل أية مداخلة من الحارس السمين.

قلت ل عبدالله: يكفي ضحكك، كدنا نكشف.

عبدالله: أعلم هذا، أعتذر.

توقفوا... كان الصوت يأتي من خلفي، إنه الحارس السمين،  
ماذا يريد منا؟

الحارس: اسمي جاكوب وأنا من أشد معجبك سيد جاكسون

شعرتُ بتقلصٍ في معدتي..لقد انتهينا

الحارس: أنت وفريقك هنا للبحث عنهم، لاحظت هذا التأخر  
في بيغ بن أيضاً.

حاولت أن أبديو واثقاً وقلت له: لا أفهم عليك يا طيب، نحن  
هنا سياح ولدينا مشروع بسيط.

الحارس: درست الفيزياء لسبع سنوات، لكن الظروف  
الصعبة دفعتني للعمل كحارس، أعرف بماذا تفكر..

فكرتُ في سري، هذا النوع من البشر لا يكذب، ملامح  
طيبة هادئة، بساطة ممزوجة ببلاهة صادقة، وفهم عميق...  
لكنني دان الشاب الذي يعرفه العالم بأسره أنا لا أفكر خارج  
أرض المنطق..

نظرت إلى شغف و عبدالله، كانا يحاولان إقناعي باصطحابه..  
فهتمت هذا من نظراتهما والهمسات القليلة.

سيد جاكوب... تعال معنا. قلتها على أمل ألا أندم.

طلبت منه تغيير لباسه لكن شغف قالت إن زيه الرسمي  
سيحل الكثير من العقبات التي قد تواجهنا، كعادتها تصيب  
صميم الموضوع في كلماتها القليلة الرزينة... أيُّ نوعٍ من  
الفتيات أنتِ.. فكرت بهذا ثم وافقتها بإيماءة.

صعدنا الأدراج، تفقدنا الأبواب المبعثرة هنا وهناك، أربعتني  
صوت خطواتنا والضجة التي أحدثتها ضحكات عبدالله و جاكوب،  
يملكان الحس الفكاهي ذاته، سمعت القليل من حديثهما..

عبدالله: لو كان أحد الأبواب الصغيرة هذه ضاللتنا، ماذا نفعل  
بجاكوب لن يستطيع الدخول، و انفجر ضاحكاً، كذلك فعل جاكوب...

نظرت إليَّ شغف نظرة من السخرية والاستهزاء بدعابة  
عبدالله البسيطة، لكننا انفجرنا ضاحكين من بساطة الأمر..

وصلنا للدرجات الأخيرة، لا شيء، وفكرة البحث في الأجزاء  
العلوية من البرج غبية جداً.

جاكوب: لماذا لا نتبع المزراب؟

تبعناه بلا تفكير.

كانت نهايته عبارة عن شيء يشبه المشكاة في زاوية الجدار  
فيها الكثير من الانابيب، أخبرنا جاكوب أنها لتصريف الأمطار.

لقد أخطأنا مجدداً، يستحيل العبور من هنا.

بدأت الخيبة تتسلل إلينا، لقد مضت ساعتان على دخولنا البرج  
كانت كفيلة بخلق حالة من الملل وصدافة بين عبدالله و جاكوب.

مهلاً... قالها عبدالله الذي بدأ يضرب بقبضته بلطف قاس  
على الجدار الذي استجاب بانخفاضٍ بسيطٍ، انضمتُ إليه  
وانزاح الباب الطيني أو النافذة العملاقة، مصدراً صريراً قوياً  
غطت عليه دقات بيغ بن التي بدت متعاطفة معنا.

عرفت أن علينا الإسراع..

نظرتُ أمامي، لكن العتمة كعادتها غطت كل الألوان،  
استعنت بالضوء في هاتفي الذكي، كان أشبه بدرج مُبعثر، قلت  
لهم بحذر.

نزلنا الأدراج المبعثرة، وكنا نحاول ألا يجتمع اثنين على درجة واحدة، نزلنا مئات الدرجات... لكن الدرج كان طويلاً.

عندما وصلنا إلى الربع تقريباً، سمعنا صرير الباب الطيني كان الصدى فاضحاً، نظرت إلى شغف وبحركة واحدة ذكية منها أزاحت حجراً صغيراً فوقنا، كان كفيلاً بإحداث انهيار يؤخر أي زائر غير مرغوب به ساعات طويلة، وصرخت بنا:  
ركضاً..

ركضنا، كنا نتسابق مع الانهيار الذي كاد أن يطالنا، قطعنا ما يقارب الألف درجة في غضون دقائق، لن يصدق أحد أننا ونحن من البشر ركضنا بهذه السرعة، لكننا كائنات قادرة على خلق المستحيل لو أضاءت مشعلاً إضافياً واحداً في مجرةِ النور التي تحملها بين كتفيها..

تعثرتُ كثيراً، تألمت، وحزنت على حال بدلتني المغبرة، لكنني تابعت، كان جاكوب الأقرب مني أثناء النزول، تعاطفتُ مع هذا الشاب الذي لم يملك حلماً يوماً، أو مع أحلامه التي بقيت أحلام، كان طيباً وبسيطاً لدرجةٍ لا توصف، بسمته البريئة تخترق روعي، كيف يستطيع شاب بهذا العمر أن يوقظ براءة الطفل بداخله؟

أخيراً وصلنا، انتهت الدرجات.. والأحجار التي كانت تسابقنا  
استسلمت أمام إرادتنا ووقفت بانحدار مهيب تحمي طموحنا  
من أي دخيل.

جلس جاكوب على الأرض و بدأ يستجمع أنفاسه، اقترب  
عبدالله منه و وضع يده على كتفه، سأله إن كان بخير، وردَّ ب  
نعم.

كانت شغف متكأة على الجدار، أشارت إلينا بأن نتابع المسير،  
استغرق الأمر نصف ساعة قبل أن نبصر شعاع النور الاول في  
رحلتنا المظلمة، كان قادماً من إحدى الممرات، شعرتُ بالصداع  
و الخفة، الأرض ترفضنا أم ماذا؟ ، كنت أقف عليها بصعوبة  
بالغة، نظرت إلى الرفاق ، كانوا مثلي تماماً، و جاكوب أفضلنا  
حالاً لقد استفاد من وزنه وتماسك، بصعوبة استفاد عبد الله  
من هذا أيضاً و أمسك بذراعه، أردت أن أجري بحثاً لكن لا  
إشارة للشابكة.

اقتربت شغف مني بصعوبة بالغة، أمسكت بيدها محاولاً  
تثقيل كتلتنا، وهمست في أذني:

لقد عزلوا المكان عن الجاذبية، ثم نظرت إلى شاشة جوالي  
والمحاولة الفاشلة للبحث على غوغل، وأضافت: وعن العالم  
الخارجي أيضاً..

لم نكثرث، تابعنا، نتمسك بالجدران حيناً، بجاكوب حيناً آخر  
حتى وصلنا إلى آخر الرواق المضيء.  
لقد أذهلني ما رأيت..



# الفصل الثاني والعشرون..

دَان..



كانت الغرفة أسطوانية ، كلها حجارة سوداء و رمادية ، رُتبت بشكل عشوائي نوعاً ما، ووضعت بشكل سياج عند الجدران، وإلى الأعلى أنابيب من أصل البرج متداخلة مع خيوط شعاعية حمراء و زرقاء ، لا ضوء طبيعي فيها، بل إضاءة إلكترونية منبثقة من صفيحة زجاجية على الجدار المقابل للطاولة، التي تحمل آلة غريبة، سرعان ما تعرفت عليها، كانت منافية لكل تخيلاتي، وأشبه لطاحونة قديمة، تتكون من صفيحة خشبية مدورة...ما أجمل فكرة الدائرة في شيء كهذا لا بدء فيها ولا نهاية و لكن لها قوانينها الواضحة الصريحة ، تحملُ جهازاً ينتهي برنانة، وإلى يمينها تثبت ذراع خشبية قابلة للقتل مع عبوة تحمل مادة بلازمية ربما، اقتربنا نحوها ، القصاصات الورقية تغطي الأرضيات.

الآلة تصدر دخاناً بشكل هيسستيري، اقتربت من الرنانة وبدأت اتفحص..

شغف: (ممسكة بالعبوة البلازمية)، إنها فارغة، لقد استخدموا  
الآلة للتو

دان: للتو؟

شغف: الدخان ورائحة العلبه

اقتربَ عبدالله مني و همس في أذني، هناك إلى اليمين..

كان يوجد خيالين، أحدهما لأمراًة.

نظرت شغف وكذلك جاكوب إلى حيث نقصد.

جاكوب: اخرجنا، لقد رأيناكما.

لا استجابة ولا إجابة.

أقترب عبدالله منهما، فلكمه الشاب على صدره ليسقط  
أرضاً، ركضت شغف نحوه و أنحنت عليه.

أخرج الشاب مسدساً وجهه نحونا، وعلى كتفه اتكأت فتاة  
ثلاثينية بشعر فضي وعينين خضراويين

الشاب: اخرجوا حالا، وتجاهلوا ما رأيتم وإلا صوبت عليكم.

وبشكل سريع لف ذراعه حول عنق جاكوب ووضع المسدس  
في رأسه مهدداً.

الشرُّ في البشرِ فطرة.. كالخير في الإنسان.

نظر للفتاة وقال: جوزافين أكملّي عملك.

حوّل نظره إلينا: وأنتم بلا حركة وإلا..

تقدمت الفتاة من الآلة، أخرجت من جيب سترتها البيضاء عبوة كالفارغة بيد شغف، رفعت الغطاء وهمت على سكب المادة.

عبدالله: لا، لا توقفي، لن تفعلي هذا

الفتاة: فاتك الكثير سيدي، عملت الآلة قبل الآن مرتين، أحدهما أثناء اجتماع طرطوس سيد جاكسون...ونظرت إليّ بخبث.

بدت شغف منهارة، أمسكت برأسها تسترجع شيئاً ما، تذكرت كلامها أمام اللوحة الزرقاء في المتحف أخشى أنها عبثت بي أيضاً.

الشاب: اسرعي جوزافين

جاكوب: لا تنسوا الهدف يا أصدقاء، دعكم مني.

شغف: أرجوك لا تفعلي هذا اتدركين خطورة الأمر؟

نظرت الفتاة إليها، كانت تتأمل قرطبيها ثم تجاهلتها.

تتأمل قرطبيها بهذا الوقت؟ بأي طريقة تعمل عقولهن، تذكرت بدلتي المغبرة، وتجاهلت الفكرة.

الشاب لشغف: لسنا بحاجة لمحاضرتك يا جميلة.

حرر جاكوب نفسه من قبضة الشاب بحركة سريعة وبشكل  
تلقائي أطلق الشاب النار على جاكوب.

دُعرنا جميعاً، حتى الفتاة المدعورة جوزافين كادت تبكي..

ركضتُ إلى جاكوب نظرت في عينيه، كان يتألم، نطق كلماته  
الأخيرة بصعوبة بالغة

جاكوب: أنا.. أريد أ.. ، أن أشكركم كم، على هذه المغامرة،  
هذه الفرصة، انها أول حلم يغدو حقيقة..

تابعوا، فالعالم يحتاجُ نظرة حانية ولمسة نقية.

أمسك عبدالله برأسه وقال يا رجل، أرجوك ليس الآن، ألا  
تريد افتتاح السينما الكوميديية خاصتنا؟

ابتسم جاكوب، سقطت من عينه دمعته، أحكم يده على قبضة  
عبدالله، شهق.. شعرت بدموعي تنهمر لا إرادياً..

لقد رحل.

# الفصل الثالث والعشرون..

شغف..



عملت الآلة مرتين قبل اليوم، إحداهما في اجتماع طرطوس  
سيد جاكسون، منظر جاكوب يحتضر، شعرت بالدوار، تذكرت  
الفتاة في عمق المحيط.... ما الذي يحدث.

اقترب دان من الشاب القاتل، أمسك ياقته وهزه بعنف  
دان: تريد أن تهرب من زمنٍ ساهمت في تلوينه، أيها  
الوضيع؟، لماذا؟

ماذا استفدت من قتله...ماذاااااا  
رأيته يبكي ويصرخ بالشاب.  
تراجع الشاب خطوتين للوراء، وقال:  
لستُ بقاتلٍ، لم أقصد...أمسك مسدسه وضعه على صدغه  
وأطلق رصاصته الثانية، لقد قتل نفسه

صدمني المشهد، تمنيتُ لو كان حليماً، جاكوب الطيب رحل  
والشاب المتعب أو القاتل غير السوي غادر أيضاً، تعالت أصوات  
أطفال خلفنا...استدرنا

كانت الفتاة مذعورة جوزافين، تشكلت غيمة بنفسجية من الغبار الذي سحب الفتاة، الفتاة التي نسيت نصف رأسها على الأرض، أو انستها الآلة إياه، صرختُ عندما رأيتُ هذا..  
جثتين ونصف رأس.

أسرع عبدالله بعينين حمراويين إلى الآلة و كسرهما.  
اسندتُ ظهري إلى الجدار، وانزلقت ببطءٍ إلى الأرض التي عادت لطبيعتها بعد كسر الآلة، لا أقوى على الوقوف.. نظرت إلى دان، الحزن المقيم بتلك الملامح الوسيمة، ما أثقل هذا... إلى الشاب الذي نذر حياته لهدفٍ راقٍ، ما أصعب المسؤولية.  
اقتربت منه مذعورة، قلت لهم:

والشرطة ؟، كيف سنفسر ما حدث..

لا داعي للتفسير.

كانا شرطيين وحارسين رأيتهم قبل الآن مع جاكوب.

الشرطي: تبعناكم، هذه أوامر السيد جاكوب.

عبدالله: لماذا لم تتدخل؟

الشرطي: هذه أوامره يا سيدي، وأنا لا أخالفها..

ثم انفجر باكياً..

ما أقسى بكاء الرجال، الدموع ضيف ثقيل على ملامحهم  
الصارمة مهما هدأت..

شعرتُ بألمٍ في أعماقي..

تابع الشرطي: لم أستطع التدخل يا سيدي، لم أستطع لم  
أستطع..

سقطت من عينه دمعة، حفرت طريقاً من الغرابة على  
وجنتيه، وقناةً من الألم في تلافيف ذاكرتي.

أمسك دان بيدي وشدني بقوة حتى استقمت، وضعَ يده على  
كتف عبدالله و دفعه للخروج.

عبدالله: أنسحب الآن؟

دان: ثمة قضية أكبر الآن..

تذكرت هنا سُطوراً من صفحاتٍ منسية، كلمات تلتها أمي  
علي كثيراً.. لا يكلف الله نفساً إلا وسعها..

ما أعظم سعة نفسك يا دان.

تابع كلامه:

الآن بدأت مهمتنا يا عبدالله .

وربّت على كتفه بطريقة جعلته يتحرك معنا، وأراهنك لو  
كانت تلك الضربات على كتفي لانكسر..

ركض خلفنا شاب صغير، ملابسه توحى بأنه الأقل رتبة بين  
حراس الأمن..

الشاب الصغير: أريد أن أخبركم بشيء

حدث هذا في اجتماع طرطوس، قال سيدي أنه رأى  
حلماً غريباً فسره القديس على أنه رؤية، وقرر السيد جاكوب  
مساعدتكم، مسح دمعته وتابع:

لقد ساعد السيدة في الاتجاه لمطار «فلاي»، فهو كشخص  
يعيش في بريطانيا كان قادراً على تحديد موقعكما لتلحق بكما  
السيدة.

توقف قليلاً، أجهش بالبكاء، ثم أكمل:

لقد عبثت الآلة بالسيد جاكوب أيضاً..

اتضح لي جزءاً من الأمر، فأنا اعرف جيداً ما معنى أن  
تعبت بك الآلة، حدث هذا معي في أعماق المتوسط.

قلت: هل تقصد أن الراحل السيد جاكوب، كان يعرف بما

سيحدث؟

العنصر: لا أعلم حقاً.

دان: ماذا ستقولون للإعلام؟، للسلطات..

العنصر: عمالٌ للإصلاح الأرضية...أرضية لن تصلح أبداً،  
وخطأً تقني.. خطأً ببياناتِ الإنسانية.. سنتولى الأمر.

كان يبكي وقلبي يحترق عليه.

## الخاتمة..

جرّت الشمسُ خلفها أذيالَ ثوبها الأرجواني الذي ملأ الأفق،  
فاصطبغت السماء بالأحمر الخجول..

فكرت شغف أن العالم يشعر بالخزي أمام الذي يحدث..  
كانت ترتدي ثوباً اخضراراً خفيفاً، وتجلسُ أمامَ أحد المطاعم  
مع دان و عبدالله بملابسهما الرياضية.

عبدالله: هل انتهى الأمر الآن؟

شغف: بالطبع لا، لكننا دمرناها.

دان: دمرت الآلة، لكنها بريئة، الأفكار هي التي أجمت.

عبدالله: لا تقل لي أننا سندمر البرج و بيغ بن.....كان  
مُرتعباً

دان: لا، لا اقصد الفكرة بأرض لندن بل في عقولنا.

شغف : نحنُ أمامَ مهمةٍ أصعب.

تقدم عبدالله ممسكاً بهاتفه، قال أنه يريد أن يكلم أمه و

خلفه سار دان وشغف.

شغف: دان، هل تخاف من الذكاء الاصطناعي؟

دان: لا ابداء، أنا أشجع هذا، أخاف على إنسانيتنا فقط..

شغف: ماذا لو سيطرت الروبوتات علينا؟

دان: ماذا لو منحناها المشاعر بدلاً من أن تسلبنا إياها،  
وابتسم.

شغف: ليس الزمن كما يشاء، ولنتسابق مع بعضنا ليس معه.

دان: الحكمة تتبع في أعماقنا، إن طهرنا أرواحنا سنمضي  
في أي اتجاه، لن نضل.

أمسكت شغف بصندوق أخضر صغير مذهب، فتحته..

كانت مرآة صغيرة...تذكرت أحمد.

شغف: ليتهم اخترعوا مرآة لنبصر أعماقنا.

دان: إنها موجودة بالفعل..

شغف: أين؟

وجه سبابته إلى جبهتها وقال: هنا

تابع دان: العالم بحاجة للوصول إلى نقطة الانسجام بين

أعظم تناقضين فيه، ما إن نتعرف على هذه النقطة الرمادية،

لن نخاف من المستقبل..

أَكْمَلُ: العقلُ والقلب.... نقطة التقاطع بينهما هي الحل  
لشيفرتنا.

شغف: الوعي...الوعي..

أحبُّ الذكاء الاصطناعي، قالتها بمرحٍ وصوت مرتفع.  
ضحك الاثنان.

تقدم عبدالله وقال: يا شباب، ستزوروني بدبي أليس كذلك؟  
شغف: ليسَ قبل أن أجلب شيئاً من سوريا.  
دان: سأعرفه لاحقاً.. و ابتسم ناظراً لشغف.  
عبدالله: بل ستتعرف عليه.

ضحكوا مجدداً. ساروا باتجاه الشمس نحو مستقبلٍ مجهولٍ  
ولكن..... بهدفٍ واضحٍ.  
تمت...

بِفَضْلِكَ أَنْتِ، خَالِقُ الشَّغْفِ وَمُبْدِعُ الْفِكْرِ..

أَنْتِ مَلْهَمِي الْوَحِيدِ بِكَوْنِكَ الْعَظِيمِ وَخَلْقِكَ الْمَرْحُومِ لَا  
الرَّحِيمِ....



# الفهرس

5	المقدمة:
7	الإهداء...
9	الفصل الأول
17	الفصل الثاني.. «روح»
23	الفصل الثالث..
31	الفصل الرابع.. اجتماعُ طرطوس.
39	الفصل الخامس..
49	الفصل السادس.. «فندق دمشق»
57	الفصل السابع.. لندن.. موطن الإلهام الأول.
67	الفصل الثامن... شَغف..
75	الفصل التاسع.. (عبدُ الله).
83	الفصل العاشر..
93	الفصل الحادي عشر.. دَان

99	الفصل الثاني عشر. رُوح.../تل مانج/
107	الفصل الثالث عشر.. تل مانج..روح
115	الفصل الرابع عشر.. نقاء
121	الفصل الخامس عشر.. إنسانوتيك.
129	الفصل السادس عشر ..
139	الفصل السابع عشر..
145	الفصل الثامن عشر..
151	الفصل التاسع عشر.. روزتيك..
159	الفصل العشرون... روزتيك..
165	الفصل الواحد و العشرين.. دان..
175	الفصل الثاني و العشرون.. دَان..
181	الفصل الثالث و العشرون.. شغف..
187	.الخاتمة..

# DANA SAKER

« أجدادنا لم يجرمونا من آفاق التل فقط، بل سلبونا كوناً كاملاً »  
لم تكن السماء بوجهها الشاحب الذي نراه اليوم،  
كانت قريبة و نجومها لامعة بشدة ، تتخللها الكواكب  
التي بثت ألوانها المائلة للترابي الفحمر هنا وهناك...  
و على أرض تل مانج أضيئت جذوع الأشجار كما لو أنها مسكونة  
خيم الصمت..

"Our forebears not only robbed us of majestic mountain  
vistas; they pillaged the cosmos itself.

The heavens were not graced with this somber countenance  
we now behold; they stretched across the skyline, their stars  
gleaming brilliantly, dancing with the planets that cast  
fiery hues upon the firmament.

And high above the land of Mang Hill, tree trunks  
glowed as if possessed by otherworldly spirits.

A deep stillness enveloped the earth."